

الطبعة الاولى

ربيع الآخر - ١٣٩٩ هـ

مارس - ١٩٧٩ م

جميع الحقوق محفوظة

هذه السلسلة :

بسم الله

الذي قال في التوراة :

« انا الرب الهك .. لا يكن لك آلهة اخرى »

وقال على لسان اشعيا :

« قبلى لم يصور اله وبعدى لا يكون .. انا الرب ولا اله غيرى »

وصلى اليه المسيح قائلا في الانجيل :

« وهذه هي الحياة الأبدية : ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك -
ويسوع المسيح الذي أرسلته » .

وقال لنييه في القرآن :

« فاعلم انه لا اله الا الله » .

«والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » .

« قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ، فمن كان
يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .

بسم الله الواحد الأحد الذي تنزهه عن الشريك والمثل ، تبدأ هذه
السلسلة : « دراسة الأديان » - لتكون دعوة « الى الله على بصيرة »
في زمن تلح فيه مطالب الأمن والسلام على الانسان أن يعود سريعا
الى الله .



تقديم

ماذا يريد الانسان ... ؟

انه يريد - اولا - تحقيق مطالبه الفطرية والغريزية ...
ثم هو يريد الامن والسلام والحرية ، والفرح ، والمتعة ، والحياة
المستمرة ...

انه - باختصار - يريد السعادة الابدية .

وهو بالطبع لا يريد مضادات السعادة الابدية من احزان وآلام
وموت وعذاب ...

ان الانسان لا يريد الشقاء .

والؤمنون - كبشر - ليسوا خروجا عن هذه القاعدة ، فهم يبحثون
عن السعادة ويسعون جاهدين من أجلها ، وان اختلفت مفاهيمها لديهم -
في بعض الاحيان - عن تلك التي يسعى من أجلها غيرهم .



وتحدثنا الكتب المقدسة عما يسعد الانسان ويشقيه ، فتعده
بالاولى اذا سار مع الله ، وتوعده بالثانية اذا تمرد على المنهج الالهي ،
وجعل الشيطان له قرينا .

ونتبين من التوراة مطالب السعادة التي يريها الاسرائيليون ،
وذلك من اقوال الرب التي جاء بها موسى :

« اذا سلكنكم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعلمتم بها : اعطى مطركم
في حينه ، وتعطى الارض غلتها .. فتأكلون خبزكم وتسكنون في ارضكم
آمنين .. وتطردون اعداءكم بالسيف .. والتفت اليكم وانتمركم وافي
ميثاقي معكم .. واكون لكم الها وتكونون لي شعبا .
- لا وبين ٢٦ : ٣ - ١٢ »

كما تحدد لنا التوراة عناصر الشقاء التي يحذرهما الاسرائيليون ،
من قول الرب :

« لكن ان لم تسمعوا لي ، ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وان رفضتم
فرائضي ، وكرهت انفسكم احكامي .. فاني اعمل هذه بكم : اسلط عليكم
ربعا وسلا وحمى تفنى العينين وتلف النفس ، وتزرعون باطلا تزرعكم
فياكله اعداؤكم واجعل وجهي ضدكم فتنهزمون امام اعدائكم ويتسلط
عليكم مبغضوكم .. واصير سماءكم كالحديد وارضكم كالنحاس .. واصير
مدنكم خربة .. واذريكم بين الامم ، واجرد وراكم السيف فتصير ارضكم

موحشة .. والباقون منكم القى الجبانة في قلوبهم في أرض أعدائهم ..
فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم - لاويين ٢٦ : ١٤-٣٨ «
ومن هنا نتبين أن السعادة والشقاء في دين الاسرائيليين - وهو
ما اصطلح على تسميته باليهودية - إنما هي أمور تتعلق بالحياة الدنيا .
فاليهودى لا يرجو الا نعيم الدنيا ، وهو لا يحذر الا شقاءها .



اما الانجيل ، فلا ترحى فيه السعادة الا في الحياة الآخرة ،
فلقد قال المسيح في موعظته الشهيرة :

« طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها الجياع الآن
لأنكم تشبعون ، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون -
لوقا ٦ : ٢٠ - ٢١ » .

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ..
بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ -
متى ٦ : ١٩ - ٢٠ » .

كذلك لا يحذر الانسان شقاء الا شقاء الآخرة :

« ان اعثرتك يدك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة اقطع من أن
تكون لك يدان وتمضى الى جهنم الى النار التي لا تطفأ ، حيث دودهم
لا يموت والنار لا تطفأ .

وان اعثرتك رجلك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة اخرج من أن
تكون لك رجلان وتطرح في جهنم في النار التي لا تطفأ ، حيث دودهم
لا يموت والنار لا تطفأ .

وان اعثرتك عينك فاقطعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله اعور
من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار ، حيث دودهم لا يموت
والنار لا تطفأ - مرقس ٩ : ٤٣ - ٤٨ » .

ويذكر الانجيل بوضوح على لسان المسيح ، أنه محال الجمع بين
نعيمي الدنيا والآخرة . ولذلك كانت حملته شديدة على الأغنياء وأصحاب
الامتلاكات الدنيوية ، إذ اعتبرهم قد استوفوا نعيمهم في الدنيا ، ولم يبق
للأغلبية الساحقة منهم - ان لم يكونوا جميعهم - سوى عذاب الآخرة :
« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين .. لا تقدر أن تخدموا الله
والمال .

لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ،
ولا لأجسادكم بما تلبسون - متى ٦ : ٢٤ - ٢٥ » .

« ما أعسر دخول ذوى الأملاك الى ملكوت الله .. مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله - مرقس: ٢٣-٢٥ ».



واما في القرآن ، فيستطيع المسلم أن يحصل على السعادة في الدنيا والآخرة :

« فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا ، وما له في الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقننا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »
(البقرة : ٢٠٠ - ٢٠١)

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً .. والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون .. والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين ، واجعلنا للمتقين اماماً .

أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ..
خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » . (الفرقان : ٦٣ - ٧٦) .
« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .
(الأعراف : ٣٢)

ولقد جمع ابراهيم أبو الأنبياء بين خيري الدنيا والآخرة ، اذ قال الله فيه :

« جعلنا في ذريته النبوة والكتاب ، وآتيناه أجره في الدنيا ، وانه في الآخرة لمن الصالحين .
(العنكبوت : ٢٧)

وعلى المسلم أن يقيم علاقات متوازنة بين مطالب الدنيا والآخرة كل على قدره ، فيحصل بذلك على السعادة فيهما ، ولذلك سجل القرآن الكريم هذا القول الحكيم :

« وأبغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا . » .
(القصص : ٧٧)

ولم يكلف المؤمنون بالله أن يعدبوا انفسهم في الدنيا على أن يعوضوا عن ذلك في الآخرة ، فلمهم أن يعملوا لسعادتهم في الدنيا بجانب عملهم لسعادة الآخرة :

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » . (الأعراف:٦٦) .

وكان قول هود لقومه عاد :
« يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، يرسل السماء عليكم مدرارا ،
ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » . (هود : ٥٢)

وحين يتمرد الانسان على منهج الله فعليه ان يتوقع الشقاء ، لا في
الآخرة فحسب بل في الدنيا كذلك :

« ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ، ليذيقهم
بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » . (الروم : ٤١)

« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، لهم عذاب
اليم فى الدنيا والآخرة » . (النور : ١٩)

« فان يتوبوا يك خيرا لهم ، وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى
الدنيا والآخرة » . (التوبة : ٧٤)

هذا - ولما كانت الحياة الآخرة حياة الأبد ، وكانت الحياة الدنيا
قصيرة فانية ، كان على المؤمن العاقل أن يوجه همه الى الآخرة وأن
يستخدم الدنيا وسيلة تعينه على تحقيق سعادته فى الآخرة .
من أجل ذلك كان على المسلم ان يعترف بسعادة الدنيا والآخرة ، ولكن
عليه ان يؤثر ما فى الآخرة على الدنيا ، وعليه كذلك ان يعترف بشقاء
الدنيا والآخرة ، الا ان ما فى الآخرة اشد واقسى :

« فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى .
واما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى
المأوى » . (النازعات : ٣٧ - ٤١)

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ،
والعاقبة للمتقين » . (القصص : ٨٣)

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم
مهتدون » . (الأنعام : ٨٢)

« لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون » .
(الأنعام : ١٢٧)

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم . خالدون
فيها ، وعد الله حقا ، وهو العزيز الحكيم » . (لقمان : ٨ - ٩)



وخلاصة القول فى النظر الى سعادة الانسان وشقائه ، أنها فى اليهودية
دنيوية بحتة ، وهى فى المسيحية اخروية فحسب ، بينما هى فى الاسلام
تجمع بين هذا وذاك مع ترجيح ما فى الآخرة على ما فى الدنيا .

وايا كان الحال ، فكيف يحقق الانسان المؤمن بالله سعادته المنشودة
او على الأقل كيف يتخلص من الشقاء في حاضره ومستقبله ؟

لقد اجتمعت الكتب المقدسة على ان المدخل الوحيد لذلك هو باب
البر ومشتقاته .

على الانسان ان يكون بارا لكي تلفظ حياته الشقاء ويحيا ابدا في
النعيم .

عندئذ يتحرر من كل الشرور والأهوال ، ولو كانت أهوال الآخرة :
« لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتلقاهم الملائكة ، هذا يومكم الذي كنتم
توعدون » . (الانبياء : ١٠٣)

فلبر صفة من صفات الله ، بهذا قال المسيح :

« ايها (الرب) البار ، ان العالم لم يعرفك .. وهؤلاء عرفوا
انك أرسلتني - (يوحنا ١٧ : ٢٥) » .

وكان الاتيلاء برة ، هكذا « كان نوح رجلا بارا كاملا في اجياله .
وسار نوح مع الله - (تكوين ٦ : ٩) » .

ولذلك لم يهلكه الله مع الهالكين في الطوفان :

« وقال الرب لنوح ادخل انت وجميع بيتك الى الفلك ، لاني
اياك رأيت بارا لدى في هذا الجيل - (تكوين ٧ : ١) » .

وكان ابراهيم بارا ، وقد استحق هذا اللقب وما يترتب عليه
من عطاء الهى كريم ، بعد ان آمن بصدق الوعد الالهى بتكثير نسله ،
في الوقت الذي ما زال فيه عقيما ، وكلن نسله يظهر الغيب :

« اخرج (الرب) الى خارج وقال له انظر الى السماء وعد
النجوم . ان استطعت ان تعدها وقال له هكذا يكون نسلك .

فآمن بالرب ، فحسبه له برا - (تكوين ١٥ : ٥ - ٦) .
وفي هذا يقول بولس :

« اذ لم يكن (ابراهيم) ضعيفا في الايمان لم يعتبر جسده وهو
قد صار مماتا ، اذا كان ابن نحو مئة سنة .. ولا بعدم ايمان في
وعد الله ، بل تقوى بالايمان معطيا مجدا لله وتيقن ان ما وعد به هو
قادر ان يفعله ايضا . ولذلك ايضا حسب له برا - (رومية ٤ : ١٩-٢٢) .

وشهد ابراهيم للوط ومن معه من المؤمنين بانهم ابرار ، ولذلك
كان يجادل الملاك الذي جاء لاهلاك المدينة الظالمة ويقول له :

« أفتهلك البار مع الأتيم . عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة ،
أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه ؟ ! -
(تكوين ١٨ : ٢٣ - ٢٤) » .

وتقول المزامير :

« لا تقوم الأشرار في الدين ولا الخطاة في جماعة الأبرار . لأن الرب
يعلم طريق الأبرار ، أما طريق الأشرار فتهلك - مزمو ١ : ٥ - ٦ » .

« كلمة الرب مستقيمة ، وكل صنعه بالأمانة ، بحسب البر
والعدل - مزمو ٣٣ : ٤ - ٥ » .

وكان يوسف النجار خطيب مريم باراً :

أذ « لما وجدت (مريم) حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها
أذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا - متى ١٨ : ١٩ » .

وكانت عقيدة المؤمنين بالمسيح في عصره أنه إنسان بار :

« فلما رأى قائد المئة ما كان ، مجد الله قائلاً : بالحقيقة كان هذا
الإنسان باراً - لوقا ٢٣ : ٤٧ » .

وفي القرآن الكريم نجد أن الأصل اللغوي للبر يكون إحدى صفات
الحق سبحانه :

« أنا كننا من قبل ندعوه ، أنه هو البر الرحيم » . (الطور : ٢٨)

كما أنه من صفات الملائكة ، كما قال تعالى :

« فمن شاء ذكره . في صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بأيدي
سفرة . كرام برره » . (عبس : ١٢ - ١٦)

والبر من صفات الأنبياء ، كما قيل في شأن يحيى بن زكريا
وعيسى بن مريم :

« وبراً بوالديه ، ولم يكن جباراً عصياً » . (مريم : ١٤)

« وبراً بوالدتي ، ولم يجعلني جباراً شقياً » . (مريم : ٣٢)
ولذلك كان دعاء المؤمنين - وما زال - هو أن يكون عاقبة أمرهم
مع الأبرار :

« ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ،
ربنا فافقر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » .
(آل عمران : ١٩٣)

وما ذلك إلا لأن الأبرار لهم خير عقبى وأكرم مستقر :

« إن الأبرار لفي نعم . على الأرائك ينظرون . تعرف في وجوههم
نضرة النعيم » . (المطفون : ٢٠ - ٢٤)

ومن المتفق عليه بين المسيحية ، والاسلام أن البر باعتباره السبيل الوحيد للخلاص ، يتركب من نواة هي الايمان تغلفها الأعمال الصالحات . وكما تنهار اللدرة اذا تحطمت نواتها ، كذلك ينهار البر اذا فقد الايمان .

« أيها الانسان .. ان الايمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر ابراهيم ابونا بالأعمال اذ قدم ابنه .. على المذبح . فترى أن الايمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الايمان » . (يعقوب ٢ : ٢٠ - ٢٢)

والقول الفصل في حقيقة البر ، هو ما يقوله القرآن الكريم :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله ، واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والوفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » . (البقرة : ١٧٧)

من هذا نتبين أن البر مرادف للتقوى والصدق مع الله ، وأن الأساس الذى يقوم عليه هو الايمان بالله . فالإيمان أصل الأصول وجوهر الحقيقة ، وبدون الايمان يتحقق دمار الانسان . ولا يتحقق الايمان بالله الا بتوحيده توحيداً خالصاً من كل شرك ، وتنزيهه - سبحانه - عن الشبه والمثيل .



لقد عرفت البشرية الايمان عن طريق الانبياء والمرسلين ، وهؤلاء تلقوه وحياً من الله بطرق شتى ، كانت للملائكة فيه اليد الطولى . ولقد وصل وحي الله الى الناس شفاهاً وكتابة ، ثم جمع وسجل فى كتب مقدسة ، ومن ثم كان على المؤمنين بالله ، أن يؤمنوا كذلك بالملائكة والوحي ، ودعاة الهدى من الانبياء والمرسلين ، وأن يؤمنوا بكتب الله المنزلة من عنده الخالصة من التغيير والتبديل .

من أجل ذلك نستفتح هذه السلسلة : دراسة فى الأديان - بهذا الكتاب الذى يتحدث فى فصليه الأول والثانى عن ركيزتين من ركائز الايمان هما : الملائكة والوحي ، ثم زيد عليهما فصل ثالث يتحدث عن الجن ، تلك المخلوقات الخفية التى يعتبر الايمان بها من نتائج الايمان بالدين . واذا كان انسان القرن العشرين يتطلع الى اكتشاف عوالم غريبة عنه فى جنبات الكون الواسع الرهيب ، فكيف به يتنكر لعالم الجن القريب منه حسبما أخبرته بذلك الكتب المقدسة .

لا شك أن الإيمان بوجود الجن يحل للانسان كثيرا من المشاكل والالغاز التي قد تحير فكره وتوقعه في متاهات من الالاعيب والاهام .
ومن المتفق عليه بين اليهودية والمسيحية والاسلام ان قوة الإيمان تتجلى في التصديق بالأمور الغيبية . وركنه الركين هو الإيمان بالله ، فانه سبحانه لم ينظره احد قط .

((لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير))
(الانعام : ١٠٣)

فالحق - جل جلاله - لا يدركه الانسان الا ببديع خلقه ، وآثار رحمته ، وجبروت قوته ، وعظائم امره .

والملائكة والوحى والنبوة تعتبر - بوجه عام - من الأمور الغيبية التي تتطلب الإيمان بها ، وهو إيمان يقوم على كونها حقائق بجانب اعتبارها عوامل ضرورية تدفع الانسان للإيمان بالله . وهى حقائق تدرك وليس من اللازم أن ترى ، تماما كما أن قوى الطبيعة من مغنطيسية وجاذبية تدرك ولا ترى ، وقد أوجبت الكتب المقدسة الإيمان بها .

« أما الإيمان فهو الثقة بما يوحي والإيمان بأمور لا ترى ، فانه في هذا شهد للقدماء . . . بالإيمان نوح لما أوحى اليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى قلعا لخلاص بيته ، فيه دان العالم وضار وارثا للبر للذى حسب الإيمان - عبرانيين ١١ : ١ - ٧ » .

ويقول الانجيل :

« طوبى للذين آمنوا ولم يروا - يوحنا ٢٠ : ٢٩ » .

ونقرأ في القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب هذه الآيات التي تقرر جماع الأمر كله :

الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين .

الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .

والذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون « (البقرة ١-٥) .

وفي جميع الأحوال لابد أن يقوم الإيمان على برهان ، والا فسدت العقائد ، وسار كل حسب هواه .

ومن البراهين التي أقامها القرآن للناس على وحدانية الله - تعالى - قوله :

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا ، فسبحان الله رب العرش
مما يصفون . . أم اتخذوا من دونه آلهة !

قل : هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي ، وذكر من قبلي ، بل
اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » . (الانبياء : ٢٢ - ٢٤)

والله أسأل أن يهدي الناس الى الايمان الحق ، فيتحقق فيهم
قول الحق :

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون . اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها ، جزاء بما كانوا
يعملون » (١) .

احمد عبد الوهاب

الفصل الأول

الملائكة

الملائكة

حين يذكر لفظ الملائكة تأتي على الفور الى افكار السامعين او القارئین وخيالاتهم صور الخلائق العلوية الجميلة ، المبراة عن الكدر والخطيئة ، المكلفة بالبهاء والجلال .

ولقد اتفق الناس على هذه الصورة المشرقة للملائكة وسطروا ذلك في نتاج افكارهم من فنون وآداب .

ونود هنا ان نلمس الحقيقة في موضوع الملائكة - هذه المخلوقات النوراتية - التي كثر الحديث عنها في الكتب المقدسة .



من الطبيعي ان يرتبط الحديث في هذا الكتاب عامة - وموضوعه : الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام - بالحديث عن الله سبحانه . وبإدء ذى بدء نقرر قاعدة اصولية يجب الا تغيب عن الازهان ولو للحظة واحدة ، وهى ان :

كل قول او حديث يستطيع ان يرسم في اذهان البشر صورة الله ، فهو قول باطل وحديث خرافة يتنافى مع اساسيات العقيدة نقلا ، وعقلا . ويمكن البرهنة على حقيقة هذه القاعدة من نصوص الكتب المقدسة .

تذكر التوراة ان موسى اشتاقت نفسه لرؤية الله ، فكان اليه وحى الله : « لا تقدر ان ترى وجهى ، لان الانسان لا يرانى ويعيش - خروج ٣٣ : ٢٠ » .

ويقول الوحي على لسان اشعيا : « بمن تشبهون الله ، واى شبه تعادلون به ١٤ - اشعيا ٤٠ : ١٨ » .

ويقول يوحنا : « الله لم ينظره احد قط - الرسالة الاولى ١٢ : ٤ » .
ويقول القرآن :

« ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » . (الشورى : ١١)

لقد كان هذا تقريرا لابد منه ، حتى اذا ما اصطدم القارئ بنص من كتاب مقدس يتحدث عن الله كما لو كان يتحدث عن شيء مادى محدود

الأبعاد والخواص ، كان عليه أن يرد الخطأ في ذلك النص الى تصور في فهم الكاتب وانحراف في تفكيره .



الملائكة في أسفار العهد القديم

ظهرت الملائكة في صور بشرية لتخاطب الصالحين من البشر وترشدتهم الى ما يصلح امورهم .

فقد جاءت الملائكة ضيوفا الى ابراهيم وهم يتمثلون بشرا من الرجال حتى انه حسبهم عابري سبيل فقام يجهز لهم مائدة من الطعام . وفي ذلك يقول سفر التكوين :

« فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفين لديه .. فلما نظر ركض لاستقبالهم ..

وقال .. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكثوا تحت الشجرة ..
فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون » .

ويدعى كتبة الأسفار أن الملائكة أكلت من طعام ابراهيم ، اذ قالوا له :

« هكذا نفعل كما تكلمت .. واذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة
اكلوا - تكوين ١٨ : ٢ - ٨ » .

ويبدو أن الكلام عن ممارسة الملائكة لمتطلبات الحياة البشرية وطبائعها من أكل وشرب وخلافه - وذلك حين تظهر للناس في صور بشرية - إنما يرجع أساسا الى ما جمح به خيال كتبة سفر التكوين عند حديثهم عن بدء الخليقة واقتباسهم أساطير تقول بحدوث تزاوج وانجاب نسل بين الملائكة - الذين دعوهم أبناء الله - وبين الفتيات الجميلات من بنات حواء . وفي هذا قالوا :

« وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ان أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لانفسهم نساء من كل ما اختاروا . وبعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم اولادا . هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم .

(تكوين ٦ : ١ - ٤)



وجاء ملك في صورة رجل الى أبوى شمشون وهما بعد عاقرين
ليبشرهما بوليد منتظر : « فتراعى ملاك الرب للمرأة وقال لها
ها أنت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدين ابنا ... »

فدخلت المرأة وكلمت زوجها قائلة : جاء الى رجل الله ومنظره
كملاك الله مرهب جدا ..

فقام منسوح وسار وراء امراته وجاء الى الرجل .. فقال .. عند
مجىء كلامك ماذا يكون حكم الصبي ومعاملته . فقال ملاك الرب لمنسوح -
قضاة ١٣ : ٢ - ١٣ « .

وعندما عرف منسوح أن ذلك الرجل هو ملاك الله ، دفعه خياله الى
الظن بأنه شاهد الله وعليه بعد ذلك أن ينتظر الموت :

« حيثئذ عرف منسوح أنه ملاك الرب . فقال منسوح لامراته نموت
موتا لأننا قد رأينا الله - قضاة ١٣ : ٢١ - ٢٢ « .

والذى حدث بعد ذلك أن منسوح وامراته لم يموتا سريعا كما توقع
لانه اخطأ الفكر والقول فما رآه لا يمكن أن يكون سوى ملاك الله .



وقد زل قلم كتبة الأسفار حين جعلوا الملائكة أبناء الله . فهذا
سفر أيوب يحكى عن مجمع مقدس في حضرة رب السماء والأرض -
سبحانه - حضره الشيطان مع الملائكة وجرت فيه كوميديا الهية تقول
بعض فصولها :

« كان ذات يوم انه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان
ايضا في وسطهم . فقال الرب للشيطان من أين جئت .. فأجاب الشيطان
الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشى فيها ... - ٦:١ - ٧ ،
٢ : ١ - ٢ « .



وظهر الملاك جبريل في صورة رجل من البشر ، ليعلم النبي دانيال
ويفسر له رؤيا شاهدها في منامه :

« وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى اذا بشبه
انسان واقف قبالتى . وسمعت صوت انسان بين أولاي . فننادى
وقال يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا . فجاء الى حيث وقفت ولما
جاء خفت وخررت على وجهى ، فقال لى افهم يا ابن آدم ان الرؤيا

لوقت المنتهى واذ كان يتكلم معى كنت مسبّخا على وجهى الى الأرض ،
فلمسنى وأوقفنى على مقامى ، وقال هاندا أعرفك ما يكون -
دانيال ٨ : ١٥ - ١٩ » .

واستمر دانيال يرى جبريل على هيئة بشرية فى مواقف أخرى :
« وبينما انا اتكلم وأصلى وأعترف بخطيتى وخطية شعبي ..
اذا بالرجل جبرائيل الذى رأيت فى الرؤيا فى الابتداء مطارا واقفا لمسنى
عند وقت تقدمه المساء وفهمنى وتكلم معى وقال يا دانيال انى خرجت الآن
لأعلمك الفهم - دانيال ٩ : ٢٠ - ٢٢ » .

✱

ويستطيع الصالحون من البشر ان يروا الملائكة فى طبيعتها النورانية
رؤية تحسها أعينهم تماما كما تحس رؤية الأشياء المادية ، وكما تحس
غير الماديات مثل ضوء الشمس ونور القمر والوان طيف الضوء الأبيض .
ولقد كان هذا هو الحال مع موسى فى بدء تلقى الوحي :

« وأما موسى فكان يرعى غنم يشرون حميه كاهن مديان . فساق
الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب » .

وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، فنظر واذا العليقة
تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى اميل الآن لأنظر هذا
المنظر العظيم - خروج ٣ : ١ - ٣ » .

وكذلك رأى أشعياء الملائكة فى طبيعتها وهى ذات أجنحة :

« لكل واحد ستة أجنحة ، بائنين يغطى وجهه ، وبائنين يغطى
رجليه ، وبائنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس ، رب
الجنود مجده ملء الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ
وامتلا البيت دخانا - أشعياء ٦ : ٢ - ٤ » .

✱

هذا - وبعد ان نصرف النظر تماما عما قيل عن اطعام الملائكة ،
وتزواجهم مع البشر ، واعتبارهم أبناء الله والخلط بينهم وبينه -
سبحانه - نجد ان الملائكة فى أسفار العهد القديم تعتبر مخلوقات علوية ،
تتعامل مع عبيد الله المختارين - مثل الأنبياء والصالحين - بالتعليم
والهداية والرعاية . ويستطيع الأنبياء مشاهدتها فى طبيعتها النورانية
كما انها غالبا ما تشهد متمثلة أشباها من الرجال .

الملائكة في العهد الجديد

جاء الملاك جبريل على هيئة رجل من البشر رسولا من الله الى مريم
يبشرها بمولد المسيح :

« ارسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة .
الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف . واسم العذراء
مريم .

فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المنعم عليها . الرب معك
مباركة انت في النساء . فلما رآته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان
تكون هذه التحية . فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لانك قد وجدت
نعمة عند الله .

وها انت ستحبلين وتلدن ابنا وتسمينه يسوع - لوقا ٢٦:١-٣١» .



وللملائكة واجبات واعمال مثل رعاية الانبياء والمرسلين وخدمتهم ،
كما كان الامر مع المسيح ، بعد ان اعتمد من يوحنا ، ونجح في اجتياز
الفتنة التي جربه بها الشيطان :

« وكان هناك في البرية اربعين يوما يجرب من الشيطان . وكان مع
الوحوش وصارت الملائكة تخدمه - مرقس ١ : ٣١ » .

« وقال المسيح الحق الحق اقول لكم من الان ترون السماء مفتوحة
وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان (المسيح) -
يوحنا ١ : ٥١ » .



وحين تظهر الملائكة للبشر في طبيعتها النورانية ، فانها تكون في هيئة
وضاءة مشرقة :

« ملاك الرب نزل من السماء .. وكان منظره كالبرق ولباسه ابيض
كالثلج - متى ٢٨ : ٢ - ٣ » .



وللملائكة علم لكنه محدود بالقدر الذي حددته مشيئة الله .
فهناك من الامور ما عميت ابصاره على كل المخلوقات ومنهم الملائكة
والمسيح ، ومن هذه الامور موعد يوم القيامة :

« اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء الا (الله) وحده - مرقس ١٣ : ٣٢ » .

وفي محاوراة بين المسيح والصدوقيين ، وهم طائفة من اليهود الذين لا يؤمنون بالقيامة ، ذكر أن المؤمنين الصالحين سوف يحيون هناك مخلدين كالملائكة لا يدقون الموت لانهم أبناء الله كما يزعم كتبة الاسفار :

« لا يستطيعون ان يموتوا ايضا لانهم مثل الملائكة وهم أبناء الله اذ هم أبناء القيامة - لوقا ٢٠ : ٣٦ » .



وللملائكة عمل في يوم القيامة ، اذ يعهد اليهم بفرز الأبرار من الأشرار ، ثم طرح الآخريين في نار جهنم . فلقد قال المسيح :

« يشبه ملكوت السماوات شبكة مطروحة في البحر وجامعة من كل نوع فلما امتلأت أصدوها على الشاطئ وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية وأما الأردياء فطرحوها خارجا . هكذا يكون في انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من الأبرار . ويطرحونهم في أتون النار . هناك يكون البكاء وضرب الأسنان - متى ١٣ : ٤٧ - ٥٠ » .



ويزعم كتبة الاسفار أن من الملائكة من سار وراء رغباته وضل ، ولم يجنب نفسه هوان المعصية فاستحق بذلك العذاب المهين وقد جاء في ذلك قولهم :

« الله لم يشفق على ملائكة قد اخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء - (٢) رسالة بطرس ٢ : ٤ » .

« الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام - رسالة يهوذا ١ : ٦ » .

ولبولس آراؤه في الملائكة ، فهو يزعم انه سيحاكمها في اليوم الموعد :

« أستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم .. أستم تعلمون اننا سندين ملائكة ، فبالأولى أمور هذه الحياة - (١) كورنثوس ٢:٦-٣ » .

ويضع كاتب الرسالة الى العبرانيين الملائكة في مرتبة أعلى من المسيح :

« لكن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة - عبرانيين ٢ : ٩ » .

*

فمما سبق تقرر اسفار العهد الجديد ان الملائكة مخلوقات تستطيع الظهور في هيئة بشرية ، او في صورة نورانية ، وللملائكة علم ، وعليهم تكاليف وواجبات ، ولهم ارادة حرة .

الملائكة في القرآن الكريم

نبينا القرآن الكريم بالكثير في موضوع الملائكة ، ويتحدث عن اعمالهم في الكون ، وعلاقتهم بالانسان ، في الدنيا والآخرة

فالملائكة هم رسل الله الى عباده المكرمين من بنى الانسان ، وحين تاتيهم الملائكة في طبيعتها المضيئة فانها تشاهد على شكل جسم من النور له اجنحة نورانية متعددة :

« الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير .

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم .

(فاطر : ١ - ٢)

وحين تظهر الملائكة في طبيعتها النورانية فانها تتراص في صفوف منتظمة ، تسبح لله ، وتتلو آياته ، فتلهم الحق والخير ، وتزجر عن الكفر والشر :

« والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا . ان الحكم لواحد . رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .

(الصافات : ١ - ٥)

*

وقد تظهر الملائكة في صورة رجال من البشر ، ولكن هذا لا يعنى انها تمارس ما يمارسه البشر من طباع وقرائن ، مثل الاكل والشرب وغيره .

ولقد جاء جبريل الروح الامين الى مريم لينفذ مشيئة الله بمولد المسيح منها بنفخة قدسية ، وكان متمثلا صورة رجل من البشر :

« واذكر في الكتاب مريم اذ انتبلت من اهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا »
(مريم : ١٦ - ١٧)

ولما جاءت الملائكة ابراهيم تبشره بمولد ابنه اسحق كانت على هيئة رجال من البشر . ولما لم يكن ابراهيم قد عرفهم بعد ، فانه سارع باعداد وليمة لاطعامهم ، لكن الملائكة احجمت عن الطعام ولم تمد ايديها له ، فشعر ابراهيم لذلك بالخوف والرغبة :

« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ . فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلناك الى قوم لوط . وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب . قالت يا ويلتى األد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشيء عجب . قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد » . (هود:٦٩-٧٣)



وللملائكة علم وفكر ، ولهم منطق وفهم يناقش الامور ويتدبر الحوادث ويعرضها للمنطق والاستنباط .

فحين اقتضت الحكمة الالهية خلق آدم واستخلافه في الأرض ، بدا شيء ما في تفكير الملائكة ، اذ اعتقدوا ان خلافة الله في الأرض أولى بها العابدون المطهرون من الخطايا عن ان تكون لمخلوقات لها القدرة على سفك الدم والافساد في الأرض . لكن الملائكة لما علموا بعد ذلك ان الفهم والعلم الذي تميز به آدم علاوة على اقباله على العبادة والتسبيح بحمد الله - كل ذلك يؤهله وذريته للخلافة - فعندئذ ادركت الملائكة قبسا من الحكمة الالهية :

« واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال ائني اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك

لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم
باسمائهم ، فلما انبأهم باسمائهم ، قال ألم اقل لكم انى أعلم غيب
السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون « .
(البقرة : ٣٠ - ٣٣)

ان هذا يبين لنا أهمية العلم في حياة الانسان ، فكما كان العلم
هو أصل الفضل والتكريم لآدم في الماضي ، فلا شك ان مصير البشرية
وما ينتظرها في حاضرها ومستقبلها ، مرتبط تماماً بالتقدم العلمى
وامكانية اتخاذه طريقاً الى الخير يقرب الى الله ، او استخدامه في الشر
طريقاً مدمراً خطه الشيطان .



**والملائكة أحاسيس ، فهم يخشون الله ، وينفعلون فزعاً من رهبة
المواقف والتجليات الالهية :**

« والله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم
لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون « .
(النحل : ٤٩ - ٥٠)

حتى اذا فرغ عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق وهو
العلى الكبير « .
(سبأ : ٢٣)



والملائكة درجات عند الله ، ولكل منهم مقام لا يتعداه :

« وما منا الا له مقام معلوم . وانا لنحن الصافون . وانا لنحن
المسبحون « .
(الصافات : ١٦٤ - ١٦٦)

« الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ، ان الله سميع بصير « .
(الحج : ٧٥)

والروح طبقة عليا من طبقات الملائكة - وهو من الطبقات المتميزة التي
يعهد اليها بالأعمال المتميزة ، مثل السفارة بين الله والمكرمين من رسله ،
الذين تنزل اليهم كتب الله ، آيات تتلى على مسامع البشرية . ولقد كان
جبريل هو الروح القدس الذى نزل بالقرآن على محمد خاتم النبيين :

« وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون
من المنذرين . بلسان عربي مبين « .
(الشعراء : ١٦٢ - ١٦٥)

« قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الدين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » .
(النحل : ١٠٢)



والمؤمنون الصالحون درجات يتقدمهم طبقة ممتازة هم المقربون الى الله - سبحانه - من اجل ذلك يمنحهم الله عطاء خاصا من عنده ، اذ يؤيدهم بروح من الملائكة يرعاهم ، ويعلمهم ، ويبشرهم بالخيرات :

« اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه » . (المجادلة : ٢٢)

ولما كان المسيح من انبياء الله المقربين ، فقد ايده الله بالروح القدس ، ارقى الارواح ، وهو جبريل الامين :

« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين » .
(آل عمران : ٤٥)

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس » .
(البقرة : ٥٣)



ولقد جعلت الملائكة رحمة للانسان . تحفظه من الأذى ، وتحميه من فصل الأرواح الشريرة ، وتحفظ عليه حياته الى ان يقضى الله امره كان مفعولا :

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الانعام : ٦١)

وقد يعهد الى بعض الملائكة بمهام خاصة مثل رعاية بعض خلق الله الكرمين وحفظهم من شرور وعذاب منتظر .

وتتعاقب الملائكة على رعاية ذلك العبد الصالح وحفظه ما بقى سائرا في الطريق الى الله ، وممسكا زمام نفسه عن التردى في هاوية الخطايا والشهوات :

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يفسروا ما بأنفسهم ، واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » .
(الرعد : ١١)



وللملائكة واجبات واعمال تقوم بها في الكون الواسع ، وتتدخل أحيانا فيما يبدو للانسان كأنه ظواهر طبيعية ، سواء في العالم الخارجى المحيط به أو في عالم نفسه وما يعترىها من أفكار والهيام وخطرات نفسى ولهذا القسم الله بها في مواضع كثيرة من القرآن :

« والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا .
فالفارقات فرقا . فالملقيات ذكرا . عدرا أو نذرا » . (المرسلات: ١-٦)



ولقد كانت الملائكة مع رسول الله في هجرته من مكة الى المدينة ، وهم الذين تكفلوا باحباط كل مؤامرات المشركين لقتله والتخلص منه :

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » . (التوبة : ٤٠)

وتتدخل الملائكة في الحرب لتحقيق النصر ، كما حدث مع المسلمين في غزوة بدر ، وفي غزوة الأحزاب ، ويكون تدخلهم غالبا بتثبيت المنتصرين وتوجيههم الى وسائل تحقيق النصر .

ففى غزوة بدر كان المسلمون قلة فى العدد والتسلح لا يتميزون الا بما اطمنت به قلوبهم من عقيدة التوحيد الخالص ، والثقة فى نصر الله ، الذى سعوا اليه بالعزم الصادق والتضرع الخالى من الغرور والكبرياء :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشىكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » . (الأنفال : ٩ - ١٣)

وفى غزوة الأحزاب تدخلت الملائكة لصالح المسلمين - وكان ما فعلته بالكافرين ، وما ألقته فى قلوبهم من الرعب كفيلا بردهم خائبين منهزمين :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا .. »

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويغلب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان عفورا رحيفا .

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . (الأحزاب : ٩ ، ٢٢ - ٢٥)



وتبشر الملائكة المؤمنين الصادقين في هذه الحياة بما يطمئنهم على مستقبلهم في الحياة الآخرة ، فتمنحهم بذلك طاقات هائلة من اليقين والثبات ، يستعينون بها على شهوات الحياة وآلامها :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من عفور رحيم . » (فصلت : ٣٠ - ٣٢)

و حين يتعرض المؤمنون لغمرات الموت فان الملائكة تبشرهم بالخيرات ، وتبعث في نفوسهم الامن والسكينة فلا يضطربون وهم ينتقلون من هذه الحياة الفانية الى أطوار تلك الحياة الباقية :

« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . (النحل : ٣٢)

واذا ما انقضت هذه الحياة ، وجاء يوم القيامة ، وهو يوم الفرع الأكبر لهول ما يصيب الكون من اضطراب ، فان الملائكة تستمر في رعايتها للمؤمنين :

« لا يحزنهم الفرع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » . (الانبياء : ١٠٣)

يوفي الجنة ينعم المؤمنون بالملائكة رفقاء نعمة وسلام :

« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبؤوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .
(الزمر : ٧٣ - ٧٥)

« جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .
(الرعد : ٢٣ - ٢٤)



وعلى النقيض مما سبق يكون موقف الملائكة مع الكافرين والمنافقين المترددين . ذلك أنه من بدء سكرات الموت فان الملائكة تتلطف اولئك الخاسرين بالتهنيف والأذى والحساب العسير على ما فرطوا في جنب الله بعفائهم الضلالة الخبيثة ، ثم يعرضون عليهم مشاهد مما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة .

فذلك هو الحال مع كل من ضيع حياته لهوا ولعبا ، وذلك هو الحال مع الذين استغلوا اسم الله ليجلب منافع رخيصة لهم وافتروا على الله الكذب ، وزعموا انه قد اوحى اليهم وأنهم قد صابروا رسلا ، وفي الحقيقة لم يوح اليهم بشيء .

اولئك بحق اظلم الظالمين لأنهم ضلوا انفسهم وأضلوا الناس بغير علم .

« ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم ، أخرجوا انفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركنتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » . (الانعام : ٩٣-٩٤)

« ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد » .
(الأنفال : ٥٠ - ٥١)

« الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء ، بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون . فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين » .
(النحل : ٢٨ - ٢٩)

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » .
(النساء : ٩٧ : ٩٩)



وعلى الرغم مما رأينا من الصلة الوثيقة بين الملائكة والانسان ، وخاصة فى المراحل المختلفة لما بعد الموت ، فانها لا تملك من أمره شيئا سواء فى الدنيا أو الآخرة . وكل ما يمكن قوله هو أنهم جنود لله ، قد عهد اليهم بالتعامل مع الانسان حسب قواعد الهيئة عادلة ، وما على الجنود إلا الطاعة والتنفيذ . وهذا الأمر هين على الملائكة الذين عرفوا مهمتهم جيدا لأنهم أحاطوا بأمر الانسان منذ نشأته حتى وفاته :

« وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون » .
(الانفطار : ١٠ - ١٢)

والحق أن الأمر كله لله ، الذى تنزه عن أن يشاركه فيه أحد غيره ، ولو كان نبيا أو ملك :

« وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى » .
(النجم : ٢٦)

« ما كان لبشر ان يؤتیه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون .

ولا يأمرکم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أياؤمکم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون » .
(آل عمران : ٧٩ - ٨٠)

« لن يستكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا . فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا » . (النساء : ١٧٢ - ١٧٣)

وعلى كل حال فان الملائكة ترق لحال الانسان في الدنيا ، وتخشى عليه نتيجة خطاياها ، وهى لذلك تدعو له بالتوبة والمغفرة عسى الله ان يعفو عنه :

« والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، ألا ان الله هو الغفور الرحيم » . (الشورى : ٥)

« الذين يحملون العرش ومن حوله ، يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاعفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، انك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » . (غافر : ٧ - ٩)



هذا - وبعد ان انتهت دراستنا لموضوع الملائكة فى القرآن الكريم بهذا الدعاء الملائكى العنون - فان النصوص القرآنية الواردة فى أمر الملائكة تدعونا الى ضرورة الايمان بهم ، وبعلاقتهم الوطيدة بالانسان فى شتى مراحل حياته .

وكيف لا وهم قرناء للانسان ، رقباء على أفعاله ، وهم الوسيلة والسفرة الذين انزلوا رسالة الله . ولقد أوجب الله الايمان بهم واعتبر انكارهم كفرا وضلالا بعيدا ، وذلك فى قوله سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا : آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » . (النساء : ١٣٦)



الفصل الثاني

الوحي

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحي في اللاهوت ليدل على الحالة التي يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهي المباشر .

ويعنى الوحي تجرد الانسان ليكون في قبضة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطريق او القناة التي يسرى فيها وحي الله من كلام ومشية (١) .

ونجمل ما سبق في موضوع الوحي فنجد اننا نستطيع القول بان :

الوحي في صورته الصامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقه . ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض لها من اوحى اليهم ، كما يكون نتاج هذا التعليم في الغالب كتابات مقدسة .

ونسوف نبحث فيما يلي حالات الوحي ووسائله .



الوحي في العهد القديم

كان اول الوحي الي البشر هو ما كان من كلام الله الى آدم وتعليمه من الوصايا ما يميز به بين ما ينفعه وما يضره :

« وأخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها تموت - تكوين ٢ : ١٥ - ١٧ » .

ويلاحظ كسبة الاستفهام أن كلام الله الى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر ، وهذا يخالف القواعد الاصولية التي ذكرناها سلفا :

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامراته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ؟

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحي في اللاهوت ليدل على الحالة التي يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهي المباشر .

ويعنى الوحي تجرد الانسان ليكون في قبضة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطريق او القناة التي يسرى فيها وحي الله من كلام ومشية (١) .

ونجمل ما سبق في موضوع الوحي فنجد اننا نستطيع القول بان :

الوحي في صورته الصامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقه . ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض لها من اوحى اليهم ، كما يكون نتاج هذا التعليم في الغالب كتابات مقدسة .

ونسوف نبحث فيما يلي حالات الوحي ووسائله .



الوحي في العهد القديم

كان اول الوحي الي البشر هو ما كان من كلام الله الى آدم وتعليمه من الوصايا ما يميز به بين ما ينفعه وما يضره :

« وأخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها تموت - تكوين ٢ : ١٥ - ١٧ » .

ويلاحظ كسبة الاستفهام أن كلام الله الى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر ، وهذا يخالف القواعد الأصولية التي ذكرناها سلفا :

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامراته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ؟

فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فاخبتات .
فقال من اعلمك أنك عريان . هل اكلت من الشجرة التي اوصيتك
أن لا تأكل منها .

فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت .
فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذي فعلت ؟
فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت . . . - تكوين ٣ : ٨ - ١٣ «



وكان وحى الله الى خلقه عن طريق الرؤيا التي يراها النساء حتى
اذا ما استيقظ من نومه شعر ان رؤياه قد ملكت عليه كل نفسه ، واطمان
بها قلبه وعلم ان ذلك وحى من الله .

فلقد كان هذا هو العطل مع ابراهيم ابي الانبياء خليل الرحمن :

« بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى ابرام في الرؤيا قائلا . لا تخف
يا ابراهم . انا ترس لك أجرك كثيرا جدا . فقال ابرام ايها السيد الرب
ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما . . . - تكوين ١٥ : ١ - ٢ «

وكانت الرؤيا هي سبيل الوحي لأغلب الانبياء :

« في تلك الليلة كان كلام الرب الى ناثان (النبي) قائلا . اذهب
وقل لمبدي داود . . متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك اقيم بعدك
نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته . . هو يبني بيتا لاسمى . .

فحسب جميع هذا الكلام وحسب كل هذه الرؤيا كذلك كلم ناثان
داود - صموئيل الثاني ٧ : ٤ - ١٧ «

« في تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا اعطيك . فقال
سليمان لله أنك قد فعلت مع داود ابي رحمة عظيمة وملكتني مكانه . .
فاعطني الآن حكمة ومعرفة . . فقال الله لسليمان من أجل أن هذا
كان في قلبك . . قد اعطيتك حكمة ومعرفة واعطيتك غنى وأموالا . . -
أخبار الأيام الثاني ١ : ٧ - ١٢ «



لكن اكثر وسائل الوحي شيوعا هو ما كان من ظهور الملائكة في صور بشرية ، تخاطب البشر بلغاتهم ، وتبليغهم وحي الله . فذلك كان الحال مع ابراهيم ولوط ويعقوب ودانيال الذي تكفل بتعليمه جبريل ، وذلك كان الحال مع غيرهم من الانبياء .

وقد يسمع العبد الصالح أصواتا تناديه فلا يهيبها اول الأمر ، حتى اذا ما عرفه بخبرها احد ممن يقرءون الكتاب من قبله ويعرفون طرق الوحي المختلفة لتعليم البشر ، فعندئذ تظمن نفس ذلك العبد الصالح لهذا الذي يأتيه ويعلم أنه قد صار نبيا يوحى اليه .

لقد كان هذا هو الحال مع صموئيل الذي كان صبيا يخدم في بيت الرب مع الكاهن عالي . فقد حدث بالليل « اذ كان عالي مضطجعا . وعيناه ابتدأتا تضعفان لم يقدر أن يبصر . وقبل أن ينطفئ سراج الله وصموئيل مضطجع في هيكل الرب الذي فيه تابوت الله » أن سمع صموئيل صوتا يناديه باسمه فظنه الكاهن عالي ولذا ذهب اليه . فقال عالي « لم ادع . ارجع اضطجع . فذهب واضطجع » .

وتكرر ذلك مرتين أخريين وأنداك فهم عالي أنه صوت الوحي ينادى صموئيل فأمره أن يقول حين يسمع النداء « تكلم لأن عبدك سامع » وعندئذ تلقى صموئيل وحيًا يقول : « هوذا انا فاعل أمرا في اسرائيل كل من سمع به تظن أذناه . في ذلك اليوم أقيم على عالي كل ما تكلمت به على بيته . . من أجل الشر الذي يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم » .

وكبر صموئيل وكان الرب معه . . وعرف جميع اسرائيل من دان الى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبيا للرب - صموئيل الأول ٣ : ١ - ٢٠ .

وجدير بالذكر أن اللعنة التي حلت بالكاهن عالي وبيته ، كانت بسبب فساد بنيه الذين اغتصبوا أموال بيت الرب ، وزادوا على ذلك أن اغتصبوا نساء اسرائيل وزنوا بهن في بيت العبادة :

« وشاخ عالي جدا وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع اسرائيل ، وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع . فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور لأني أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب - صموئيل الأول ٢ : ٢٢ - ٢٣ » .



وقد ينظر العبد الصالح الى السماء فيرى ظلالا من النور او النار ،
تشهد نفسه اليها ، وتستولي على مشاعرها ، وعندئذ يسمع وحى الله ،
فذلك كان اول الوحي الى موسى :

« واما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق
الغنم الى وراء البرية وجاءه الى جبل الله حوريب .

وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة
تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى اميل الآن لانظر
هذا المنظر العظيم لماذا لم تحترق العليقة .

فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال :
موسى موسى .

فقال هانذا . فقال لا تقترب الى هنا هنا . .

ثم قال : انا الله ابيك ابراهيم والله اسحق والله يعقوب فغطى موسى
وجهه لانه خاف أن ينظر - خروج ٣ : ١ - ٦ .

ولما كان الانسان بتركيبه البشرى وما قام فيه من ماديات ،
لا يستطيع رؤية الله في هذه الحياة الدنيا ، فانا نستطيع القول بان
ما رآه موسى كان شيئا من مجد الله .

اذ بعد أن تمرس موسى على وحى الله ورأى من الآيات ما رأى ،
اشتاق نفسه أن ينظر الى الله ، فجاءه القول الحق :

« لا تقدر أن ترى وجهي . لأن الانسان لا يرانى ويعيش -
خروج ٣٣ : ٢٠ .

كذلك قد يسمع وحى الله آتيا من خلال السحاب وفي ظل من
الغمام :

« قال موسى لهارون قل لكل جماعة بنى اسرائيل اقتربوا الى امام
الرب لانه قد سمع تدمركم . فحدث اذ كان هارون يكلم كل جماعة
بنى اسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية . واذا مجد الرب قد ظهر في
السحاب .

فكلم الرب موسى قائلا : سمعت تدمر بنى اسرائيل - خروج
١٦ : ١ - ١٢ .



وقد يرى العبد الصالح مناظر عجيبة في السماء تصاحبها عواصف وزواج ، ثم يجيئه صوت الوحي يعلمه ، كما كان الأمر مع ايليا وحزقيال :

« كان كلام الرب اليه يقول مالك ها هنا يا ايليا . فقال قد غرت غيرة للرب .. فقال أخرج وقف على الجبل .. واذا .. ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور .. وبعد الريح زلزلة .. وبعد الزلزلة نار ...

وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع ايليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف في باب المغارة وإذا بصوت اليه يقول مالك ها هنا يا ايليا . فقال غرت غيرة للرب اله الجنود لأن بنى اسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا ميثاقك وقتلوا أنبيائك بعد السيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسى ليأخذوها . فقال له الرب اذهب راجعا في طريقك الى دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على الرام . وامسح ياهو بن تمشى ملكا على اسرائيل واما المسح اليسع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك - الملوك الأول ١٩ : ٩ - ١٦ » .

« كان في سنة الثلاثين .. وأنا بين المسبيين عند نهر جابور أن السماوات انفتحت فرايت رؤى الله .. صار كلام الرب الى حزقيال .. في أرض الكلدانيين عند نهر خابور . وكانت عليه هناك يد الرب .

فنظر واذا بريح عاصفة جاءت من الشمال . سحابة عظيمة ونار متواصلة وجولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار . ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه انسان . ولكل واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة . وأرجلها أرجل قائمة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول . وأيدي انسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة . ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخلة من حوله . مثل منظر نار ولهها لمعان من حولها . كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر هكذا منظر اللمعان من حوله . هذا منظر شبه مجد الرب . ولما رأته خررت على وجهي . وسمعت صوت متكلم ..

فقال الى يا ابن آدم قم على قدميك فاتكلم معك . فدخل في روح لما تكلم معي وأقامنى على قدمي فسمعت المتكلم معي .

وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلتك الى بنى اسرائيل الى امة متمردة قد تمردت على هم وآباؤهم عصوا على ذات هذا اليوم . والبنتون

القنساء الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك اليهم .. واما أنت يا ابن آدم
فلا تخف منهم .. أنت ساكن بين العقارب .. من كلامهم لا تخف ومن
وجوههم لا ترتعب لانهم بيت متمرده ..

وأنت يا ابن آدم فاسمع ما أنا مكلّمك به لا تكن متمردا كالبيت
المتمرده .. حزقيال ١ - ٢ : ١ - ٨ » .



**ونجد الكثير من أسفار العهد القديم قد كتب على أساس
أنه كان وحيا نطق به عبد صالح جاءته كلمة الله بطريقة ما .
فذلك ما نجده في أسفار الأنبياء الكبار مثل أشعياء وارميا :**

« رؤيا أشعياء بن أموص التي رآها على يهوذا وأورشليم ..
اسمعي أيتها السماوات واصفي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم .

ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصوا على . الثور يعرف قائله
والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف . شعبي لا يفهم .

ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الاثم نسل فاعلى الشر اولاد
مفسدين . تركوا الرب استهانوا بقُدوس إسرائيل ارتدوا الى وراء .
علام تضربون بعد . تزدادون زيفانا كل الرأس مريض وكل القلب سقيم ..
أشعياء ١ : ١ - ٥ » .

« كلام ارميا بن حلقيا من الكهنة الذين في عناثوث في أرض بنيامين ،
الذين كانت كلمة الرب اليه ..

كانت كلمة الرب الى قائلا . مثلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما
خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب . فقلت آه يا سيد الرب
انى لا اعرف ان اتكلم لانى ولد . فقال الرب لى لا تقبل التى ولد لانك الى
كل من أرسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به . لا تخف من وجوههم
لانى أنا معك لانقذك يقول الرب .

وقال الرب لى ها قد حملت كلامى في فمك . انظر قد وكلتك هذا
اليوم على الشعب والامم لك لتقطع وتهدم وتهلك وتنتص وتبنى وتغرس -
ارميا ١ : ١ - ١٠ » .

كذلك كان الحال مع الأنبياء الاثني عشر الأصغر وهم : هوشع ،
ويوثيل ، وعاموس ، وعويديا ، ويونان ، وميخا ، وناحوم ، وحبوق ،

وصفيينا ، وجحى ، وزكريا ، وملاخى ، اذ ان الاسفار التى تحمل اسماءهم
قد جمعت باعتبارها وحى الله اليهم ، انفعلت به نفوسهم حتى فاضت
به السنتمهم :

« قول الرب الذى صار الى يوثيل بن فتوثيل .

اسمعوا هذا ايها الشيوخ واصفوا يا جميع سكان الارض . .

اصحوا ايها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شناربي الخمر . . -
يوثيل ١ : ١ - ٥ » .

« اقوال عاموس الذى كان بين الرعاة من تقسوع التى راها عن
اسرائيل .

فقال ان الرب يزمجر من صهيون ويعطى صوته من اورشليم فتنوح
مراعى الرعاة ويبيس رأس الكرمل . . - عاموس ١ : ١ - ٢ » .
« رؤيا اعويديا .

هكذا قال السيد الرب عن ادوم . سمعنا خيرا من قبل الرب وارسل
رسول بين الامم . قوموا ولنقم عليها للحرب . . - عوبديا ١ : ١ » .

« صار قول الرب الى يونان بن امثاي قائلا . قم اذهب الى نينوى .
المدينة العظيمة وناد عليها لانه قد صعد شرهم امامى . . - يونان ١ : ١ - ٢ » .
« قول الرب الذى صار الى ميخا المورشتى . .

اسمعوا ايتها الشعوب . جميعكم ، اصغى ايتها الارض وملؤها وليكن
السيد الرب شاهدا عليكم من هيكل قدسه . . - ميخا ١ : ١ - ٢ » .

« وحى على نينوى . سفر رؤيا نالحوم الالقوشى . .

الرب اله غيور ومنتقم . الرب منتقم وذو سخط . الرب منتقم من
مبغضيه وحافظ غضبه على اعدائه . . - نالحوم ١ : ١ - ٢ » .

« كلمة الرب التى صارت الى صفنيا بن كوشى . .

نزعا انزع الكل عن وجه الارض يقول الرب . انزع الانسان والحيوان .
انزع طيور السماء وسماك البحر والمعاشر مع الاشرار واقطع الانسان
عن وجه الارض يقول الرب - صفنيا ١ : ١ - ٣ » .

« في السنة الثانية لداريوس الملك .. كانت كلمة الرب عن يد جحى النبي الى زربابل هكذا قال رب الجنود قائلاً . هذا الشعب قال ان الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب - جحى ١ : ١ - ٢ » .

« في الشهر الثامن في السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب الى زكريا بن برخيا بن عدو النبي قائلاً . قد غضب الرب غضباً على آبائكم .. - ١ : ١ - ٢ » .

« وحى كلمة الرب لاسرائيل عن يد ملاخي ..

أحببتكم قال الرب . وقلتم بم أحببتنا ..

الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده . فان كنت أنا أبا فأين كرامتي وان كنت سيدي فأين هيبتى قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحترقون اسمى وتقولون بم احتقرنا اسمك .. - ملاخي ١ : ١ - ٦ » .



ولقد عرفنا أن من الملائكة أرواحاً متميزة إذا ما حلت بالعبد الصالح انطقته بوحى الله ، وصار هو لسانها المتكلم بصوت تسمعه الأذان البشرية وتعنى ما يقول .

ولذلك قال موسى : « يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذ جعل الرب روحه عليهم .. - عدد ١١ : ٢٩ » .

وكان كلام صموئيل النبي الى شاول وهو يعلمه إحدى طرق الوحي :

« عند مجيئك الى هناك الى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة .. وهم يتنبأون . فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول الى رجل آخر ..

وكان عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلباً آخر ..

ولما جاءوا الى هناك الى جبعة اذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ في وسطهم - صموئيل الأول ١٠ : ٥ - ١٠ » .

« وهذه هي كلمات داود الأخيرة : وحى داود بن يسى ووحى الرجل القاتم في العلامسيح اله يعقوب ومرنم اسرائيل الحلو . روح

الرب تكلم بى وكلمته على السانى قال اله اسرائيل الى . . اذا اتسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله وكنور الصباح اذا اشرفت الشمس - صموئيل الثانى ٢٣ : ١ - ٤ .

ويحكى حزقيال بدء الوحي اليه فيقول « سمعت المتكلم معى . وقال لى يا ابن آدم انا مرسلك الى بنى اسرائيل الى امة متمردة - حزقيال ٢ : ٢ - ٣ .



وبعد - ان خلاصة القول فى موضوع الوحي كما تبينه دراسة اسفار العهد القديم تعلمنا ان ((رجال الله)) الذين عاشوا على الارض قبل ان يوجد اسرائيل وذريته ، وكذلك الذين ظهروا فى الشعب الاسرائيلى من انبياء ومرسلين ، قد تلقوا وحي الله بطرق مختلفة ، يمكن اعتبارها مرجعا مقارنا لدراسة حالات الوحي ، كما يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - الوحي بالكلام شبه المباشر بين الله والانسان ، او بتعبير ادق بانه كلام ((من وراء حجاب)) وقد تعرض لذلك آدم وموسى .

٢ - الوحي بالرؤيا المنامية كما حدث لابراهيم ويعقوب وسليمان وغيرهم .

٣ - ظهور الملائكة فى صور بشرية تعلم الناس بلغاتهم وحي الله ، وتلك احدى الطرق الشائعة التى تعلم بها ابراهيم ولوط ويعقوب وايليا ودانيال الذى علمه جبريل .

٤ - ظهور الملائكة فى طبيعتها النورانية تصاحبها هالات من النور او النار وظل من الغمام ، ومن وراء ذلك يأتى صوت الوحي كما حدث لموسى وايليا وحزقيال .

٥ - وقد تسمع اصوات الملائكة من بعد وفى خفاء وهى تلقى بالوحي الى العبد الصالح ، كما كان الحال مع صموئيل وغيره .

٦ - وقد يحل روح من الله على العبد الصالح وعندئذ قد تتغير حالته الطبيعية ويلقى اليه بالوحي فيعيه ويتكلم به ، كما حدث لشاول وداود وايليا وحزقيال .

٧ - كذلك قد تفعل نفس العبد الصالح بما يفيض على لسانه كلاما يشتهر بين الناس بأنه وحى الله ، ونجد ذلك ما كان من أمر الأنبياء : اشعيا ، وارميا ، ويوئيل ، وعاموس ، وبقية الأنبياء الاثنى عشر .

ومن الواضح أن العبد الصالح يمكن أن يأتيه الوحي بطرق مختلفة .

هنا - ومن البديهيات المسلم بها هو أن الوحي أولا وأخيرا يرتبط بمن أوحى إليه ، لذلك كان إيمان الناس بصدق الوحي يجب أن يسبقه إيمانهم بصدق من أوحى إليه ، وثقتهم في أمانته ، وما اشتهر به من طهر وفضل . وإذا كان ذلك الذى أوحى إليه قد تعفف عن الكذب على الناس ، فمن باب أولى أنه لابد وأن يتحرز من الكذب على الله . إن ههنا أمر لا يقبل الجدل .

ومن رحمة الله بخلقه أن اصطفى من الناس أنبياءه ورسله ، ممن عظرت سيرتهم ، وطابت ذكراهم ، وكانوا فوق مستوى الشبهات .



الوحي في العهد الجديد

تقرر اسفار العهد الجديد ان طرق الوحي الى انبياء الله كثيرة ومتنوعة ، وانها جميعا تهدف الى تعليم الناس دين الله عن طريق رسله الذين جعلوا ائمة للبشر :

« الله بعد ما كلم الآباء بالانبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في (المسيح) - عبرانيين ١ : ١ - ٢ » .

وبذلك تعترف المسيحية بجميع طرق الوحي التي اشرنا اليها في الفصل السابق . وبجانب ذلك فاننا نجد في اسفار العهد الجديد تفصيلا لحالات الوحي ووسائله ، ومنها :

ظهور الملائكة للبشر في صورة جسمية ، تخاطبهم بلغاتهم ، وتبلغهم وحي الله كما فعل جبريل مع زكريا حين بشره بابنه يحيى :

« بينما هو يكهن في نوبة فرقته أمام الله . . ظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامراتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا . .

فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى شيخ وامراتى متقدمة فى أيامها . فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا - لوقا ١ : ٨ - ١٩ » .

ويكون الوحي برؤيا يراها العبد الصالح فى نومه ويوقن أنها تعليم من السماء فيتصرف على هذا الأساس . وقد حدث ذلك ليوسف النجار خطيب مريم ، الذى لما عرف سر حملها لم يستجب لوساوسه فى أمرها ، ثم امتنع عن معاشرتها حتى ولدت المسيح ابنها البكر :

« أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذا كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا .

ولكن فيما هو متفكر فى هذه الامور اذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبلى به فيها هو من الروح القدس .

فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع .. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ..
فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم
يعرفها حتى ولدت ابنها البكر . ودعا اسمه يسوع - متى ١٨:١-٢٥ « .

ولقد تعرض المجوس الذين زاروا مريم وابنها ، الى وحى فى الرؤيا
المنامية أبعدهم عن طريق هيرودس الملك الذى كان يطلب قتل الصبى
المبارك :

« أتوا الى البيت ورأوا الصبى مع أمه مريم . فخرؤا وسجدوا له ..
ثم اذ أوحى اليهم فى حلم أن لا يرجعوا الى هيرودس انصرفوا فى طريق
أخرى الى كورتهم - متى ٢ : ١١ - ١٢ « .

وتكرر الوحى بالرؤيا المنامية الى يوسف النجار :

« وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم
وخذ الصبى وأمه وأهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس
مزع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه لیسلا وانصرف
الى مصر .

فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر
قائلا قم وخذ الصبى وأمه واذهب الى أرض اسرائيل .. ولما سمع أن
أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبیه خاف أن يذهب
الى هناك .

واذ أوحى اليه فى حلم انصرف الى نواحي الجليل . واتي وسكن
فى مدينة يقال لها ناصرة - متى ٢ : ١٣ - ٢٣ « .



ويكون الوحى بطول الروح على العبد الصالح ، فينطق بالحق ويقول
الصدق . ولقد أعلن المسيح أن نبوءته قد تحققت بروح الله الذى حل
عليه ، والذى أيده الله به :

« ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرا ..

فدفع اليه سفر اشعيا النبي . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى
كان مكتوبا فيه . روح الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني
الأسفى المنكسرى القلوب .. ثم طوى السفر وسلمه للخادم ..

وحل الروح على تلاميذ المسيح ومن معهم فأصابتهم حالة الوحي ،
وعندئذ سخن اليهود منهم وظنوهم سكارى ومخبولين - فقام بطرس يوضح
الموقف ويقرر ان حلول روح الله على الجموع من الناس انما كان تحقيقا
لنبوءة وردت في أسفار العهد القديم عما سيكون في آخر الزمان - وهو
الزمن الذي عاش فيه بطرس ومن معه منذ نحو عشرين قرنا مضت حتى
الآن ويقول :

« امتلا الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بكلمة أخرى
كما أعطاهم الروح أن ينطقوا . . فبهت الجميع وتعجبوا . . وكان آخرون
يستهزءون . . فوقف بطرس مع الأجد عشر ورفع صوته وقال لهم أيها
الرجال اليهود . . ليكن هذا معلوما عنكم واصفوا الى كلامي . لأن هؤلاء
ليسوا سكارى كما أنتم تظنون . لأن الساعة الثالثة من النهار . بل هذا
ما قيل بيوثيل النبي . يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة انى أسكب من
روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شبوكم
أحلاما . وعلى عبيدي أيضا وأماني أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون -
أعمال الرسل ٢ : ٤ - ١٨ » .



والخلاصة ان حالات الوحي ووسائله في المسيحية لا تخرج عما
رأيناه في اليهودية .



هذا - واذا كانت أغلب أسفار العهد القديم قد قرر كاتبوها أنها
وحي سماوى نطقت به السنة الأنبياء - وقد رأينا ذلك سلفا - فان الأمر
يختلف تماما بالنسبة لأسفار العهد الجديد . ذلك ان الأغلبية العظمى
من هذه الأسفار تقرر صراحة أو ضمنا ، أنها مجهودات خاصة ،
وكتابات شخصية ، أنشأها كاتبوها لبيان قصة المسيح ، ورسالته
ونشاط تلاميذه - كما عرفها أولئك الكتاب .

ويتبين ذلك من دراسة هذه الأسفار على النحو التالي :

(١) الأناجيل :

١ - انجيل لوقا :

يبدأ لوقا انجيله ببيان ما دفعه الى تأليفه فيقول :

« أذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا
كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة . رأيت أنا

أيضا؛ إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن الكتب على التوالي اليك
أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به - لوقا ١: ١-٤ » .

ويتضح من ذلك عدة أمور :

- أن كثيرين قد أخذوا في تأليف قصص عن المسيح وبشارته ، وهم
قد كتبوا أناجيل من عندهم ومن المعلوم أن القرون الأولى من الميلاد قد
انتشرت فيها أناجيل كثيرة .

- وأن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية الى عزيزه ثاوفيلس الذي
قيل أنه كان ثريا من الاسكندرية .

- وأن لوقا كتب رسالته الى ثاوفيلس بدافع من نفسه : (رأيت انا
ايضا) وأنه عمل في رسالته بجهده الخاص : (تتبعت كل شيء من الأول
بتدقيق) .

- ولم يدر بخلد لوقا أن ما كتبه آنذاك سوف يكون سفرا مقدسا
يستخرج منه ملايين البشر عقائدهم الدينية ، لأن ما كتبه رسالة شخصية
لصديقه : (لتعرف صحة الكلام) .

وغنى عن البيان أن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح الذين عاينوه
وتربوا بين يديه . ومن المعلوم كذلك أن كتابات الوحي لا بد وأن ينمى
فيها كل اثر للجهود الشخصية للعبد الصالح ، الذي لا يكون عمله سوى
التوصيل بأمانة لكلمة السماء .



٢ - انجيل متى :

يقرر الكاتب أن ما يكتبه هو : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود
ابن ابراهيم ..

أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم امه مخطوبة
ليوسف قبل أن يجتمعا وجددت حبلى من الروح القدس - متى
١ : ١ ، ٨ » .

(م . ٤ - الوحي)

وليس في هذا الكلام أو في غيره ما ينص على أنه وحى من الله .



٣ - انجيل مرقس :

وما قيل عن انجيل متى يقال عن انجيل مرقس بالنسبة لموضوع الوحي ، الا ان كاتب انجيل مرقس قرر ان يسمى كتابه انجيلا فقال :

« بدء انجيل يسوع المسيح - مرقس ١ : ١ » .



٤ - انجيل يوحنا :

يختلف هذا الانجيل عن الثلاثة الأول بنزعته الفلسفية ، لكنه يقرر امرا هاما وهو انه قد كتب لغرض حدده الكاتب سلفا وروى قصته لتصل به الى النتيجة التي ارادها ، وهي الاعتقاد بان المسيح هو ابن الله . فهو يقول :

« وآيات آخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب . واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله - يوحنا ٢٠ : ٣٠ - ٣١ » .

ويختم الكاتب كتابه فيقول :

« هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا . ونعلم ان شهادته حق .

وأشياء آخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة - يوحنا ٢١ : ٢٤ - ٢٥ » .

ومن البديهيات ان وحى الله الى خلقه لا يقوم على ظنون وتخمينات ، انما يقرر الحق المجرد الخالي من القصور أو المبالغات .



(ب) اعمال الرسل :

لقد أخذ الجزء الأول من رسالة لوقا الى عزيزه ثارفلس وعرف باسم

« أنجيل لوقا » دأما الجزء الباقي من تلك الرسالة فقد عرف باسم « أعمال الرسل » - إذ أنه يحكى حال تلاميذ المسيح ومن انضم إليهم بعد رفعه الى السماء . كذلك فإنه يبين المجهودات التي أسهم بها أولئك الدعاة في نشر المسيحية في أيامها الأولى .

وفي هذا يقول لوقا كاتب الرسالة ومنشؤها :

« الكلام الأول أنشأته يثاوقيلس عن جميع ما ابتدا يسوع يفعله ويعلم به الى اليوم الذى ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم - أعمال الرسل ١ : ١ - ٢ » .



(ج) رسائل بولس :

ما كان بولس من تلاميذ المسيح ورسوله ، وما رأى المسيح ولو مرة واحدة في حياته ، لكنه اشتهر في زمانه بتعصبه ليهوديته واضطهاده للمسيحيين . ولقد اتهم كثيرا بالسطو على الكنيسة ثم فجأة اعلن بولس نفسه رسولا للمسيح بعد قصة رواها عن نفسه وشك فيها التلاميذ ، ولهذا رفضوا دخوله في مجتمعهم ، لولا شفاعة برنابا الرجل الصالح الذى كانوا يثقون فيه .

وفي هذا تقول رسالة الاعمال :

(اما شاول (بولس) فكان لم يزل ينفث تهيدا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة . وطلب منه رسائل الى دمشق الى الجماعات حتى اذا وجد اناسنا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين الى اورشليم وفي ذهابه حدث انه اقترب الى دمشق فبغتة ابرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول اماذا تضطهدنى فقال من انت يا سيد - فقال الرب انا يسوع الذى انت تضطهده . فقال وهو مرتعد ومنتحير يا رب ماذا تريد أن افعل . فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل . .

وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما . وللوقت جعل يركز في المجمع بالمسيح ان هذا هو ابن الله . فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا اليس هذا هو الذى اهلك في اورشليم الذين يدعون بهذا الاسم . وقد جاء الى هنا لهذا ليسوقهم موثقين الى رؤساء الكهنة . .

ولما جاء شاول الى اورشليم حاول ان يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ . فاخذه برنابا واحضره الى الرسل وحدثهم كيف ابصر الرب في الطريق وانه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع - أعمال الرسل ٩ : ١ - ٢٨ » .

ويقرر سفر أعمال الرسل أن تلك الرؤيا النورانية لم يكن لها من شهود سوى بولس ، حتى أن الرجال المسافرين معه لم يروا شيئا مما تحدث عنه :

« واما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون احدا - أعمال الرسل ٩ : ٧ » .

لكن هنا وقفة لا بد منها ، ذلك أن سفر أعمال الرسل عاد ليحدثنا مرة أخرى عن تلك الرؤيا - التي اقتحم بها بولس المسيحية ليجعل نفسه مبشرها الأكبر فيما بعد - فيعرض لنا ما يخالف روايته السابقة . فهو يقول هذه المرة على لسان بولس :

« ابرق حولي من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسمعت صوتا . . قال لي أنا يسوع الناصري . . والذين كانوا معي نظروا النور . . لكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني - أعمال الرسل ٢٢ : ٦ - ٩ » .

فعلى حسب الرواية الأولى نجد أن المسافرين مع بولس : سمعوا الصوت لكنهم لم ينظروا النور ، واما حسب الرواية الثانية فانهم نظروا النور لكنهم لم يسمعوا الصوت !

*

وكذلك ما رأى بولس احدا من تلاميذ المسيح المختارين سوى بطرس ويعقوب أخا المسيح وذلك بعد مدة تزيد عن الثلاث سنوات كان قد بدأ فيها الدعوة الى عقيدته الجديدة بتعليمه الخاص غير منتظر مواعظ او تعاليم من تلاميذ المسيح ورسله . وفي هذا يقول بولس عن نفسه :

« لما سر الله الذي افرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته . أن يعلن ابنه في لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحما ودما . ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي بل انطلقت الى العربية ثم رجعت أيضا الى دمشق .

ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى اورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما . ولكنني لم أر غيره من الرسل الا يعقوب أخا الرب .

والذى اكتب به اليكم هو ذا قدام الله انى لست اكذب فيه .

وبعد ذلك جئت الى اقاليم سورية وكيليكية ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح - غلاطية ١: ١٥-٢٢ .

ولقد استمر بولس فى الدعوة بطريقته الخاصة ما يزيد عن اربعة عشر عاما حتى حدث ما اضطره ان يعود الى اورشليم ليعرض على كبار التلاميذ « المعتبرين » التعاليم التى بشر بها وليتأكد منهم ان ما اشاعه فى **الدعوة كان خاليا من الاباطيل** . ويروى بولس انهم وافقوه على التبشير بين الامم غير اليهودية :

« ثم بعد اربع عشرة سنة صعدت ايضا الى اورشليم مع برنابا اخذا معى تيطس ايضا . وانما صعدت بموجب اعلان وعرضت عليهم الانجيل الذى اكرز به بين الامم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا اكون اسعى او قد سعيت باطلا .. فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على شىء بل بالعكس اذ راوا انى اؤتمنت على انجيل القرلة كما بطرس على انجيل الختان ..

فاذا علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرين انهم اعمدة اعطونى وبرنابا يمين الشركة النكون نحن للامم واما هم فللختان . غير ان نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت ان افعله - غلاطية ٢: ١-١٠ .»



ولقد حرص بولس دائما على ان يضع نفسه بين افضل رسل المسيح، وكان يرى انه يستطيع التصدر فى الدعوة المسيحية وحيدا ، دون ما حاجة الى معاونة او توجيه . فهو يقول فى رسائله :

« اilst أنا رسولا . اilst أنا حرا . اما رايت يسوع المسيح ربنا - (١) كورنثوس ٩ : ١ » .

« فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله - (١) كورنثوس : ٤ : ١ » .

« ليتكم تحتملون غباوتى قليلا . بل انتم محتملى .. انى احسب انى لم انقص شيئا عن فائقى الرسل . وان كنت عاميا فى الكلام فلست فى العلم - (٢) كورنثوس ١١ : ١ - ٦ » .

« استحسننا من الله أن نؤمن على الانجيل - (١) تسالونيكى ٤:٢ » .
« اتى اقول لكم ايها الأمم بفا انى رسول للأمم أمجد خدمتى -
رومية ١١ : ١٣ » .

« قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت الايمان . وأخيراً
قد وضع لى اكليل البر - (٢) تيموثاوس ٤ : ٧ - ٨ » .
**وقرر بولس فى رسائله ان تعاليمه فى المسيحية هى شىء يختص به ،
وينفرد باعلانه :**

« وأعرفكم ايها الأخوة الانجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسبه
انسان . لآنى ألم أقبله من عند انسان ولا علمته . بل باعلان يسوع المسيح -
غلاطيه ١ : ١١ - ١٢ » .

ولقد مر بنا منذ قليل قوله : « لم أستشر لحما ودما . . ولا صعدت
الى الرسل الذين قبلى » .



وسار بولس فى الدعوة الى المسيحية وفق مبدأ اختطه لنفسه ،
وهو ان يكسب أكبر عدد من الأتباع بصرف النظر عن حقيقة قبولهم للعقيدة
الجديدة ، وإيمانهم بها ايماناً خالياً من شوائب عقائدهم السابقة .
ولقد نتج عن ذلك أن دخل كثيرون فى المسيحية على يد بولس بأفكارهم
وعقائدهم القديمة ، وأغلبها عقائد وثنية . ذلك أن ما كان يطمع فيه بولس
هو أن ينشئ « كمنولث مسيحي » يقوم على أفراد وطوائف شتى يكفى
الا يربطها سوى اسم المسيح والصليب . ويرى الباحثون أن فكرة الكومنولث
المسيحي قد تأثر بها بولس من الأحوال السياسية والأفكار الفلسفية التى
كانت سائدة آنذاك فى العالم الرومانى الوثنى . وفى هذا يقول
تسالز دود :

« لقد أوضحنا سلفاً أن فكرة الكمنولث العالمى كانت شائعة فى العالم
الوثنى وكانت روما فى تأثرها بالمثل العالمية للرواقيين - الذين قدموا فى
أيام بولس رئيساً لوزراء الامبراطورية ، وفى القرن التالى له اعتلى أحدهم
عرش الامبراطورية - فحاول تأسيس ذلك الكمنولث - ولقد تأثر بولس
كأحد المواطنين الرومان بهذه الأفكار (١) » .

O. H. Dodd : The Meaning of paul For Today, (١)
F. B., London, 1964, P. 49

ومن أجل ذلك لم يتحرز بولس عن استخدام كل الوسائل لكسب
الاتباع :

« اذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الاكثرين .
فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود . وللذين تحت الناموس كأتى تحت
الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأتى بلا ناموس .
لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء - صرت
للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما . وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل
لاكون شريكا في - (١) كورنثوس ٩ : ١٩ - ٢٣ » .

ولم يكن هناك حرج من الكذب في الدعوة طالما قد عرف الناس
اسم الله :

« ان كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا ادان أنا بعد
كخاطيء - روميه ٣ : ٧ » .



اما برنابا الذى قدم بولس للتلاميذ فقد كان رجلا صالحا ممثلا من
الروح القدس ، وكان رسولا مفوضا من التلاميذ الى مختلف المدن
وكنائسها ليبشر بتعاليم المسيح . وكان يدعو بولس لمرافقته في رحلاته
التبشيرية . وقد استمرت جهود برنابا مخلصه للدعوة المسيحية طيلة
حياته :

« ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ هو
لاوى قبرسى الجنس . اذ كان له حقل باعه واتى بالدرهم ووضعها عند
أرجل الرسل - أعمال الرسل ٤ : ٣٦ - ٣٧ » .

« سمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التى في اورشليم فأرسلوا برنابا
لكى يجتاز الى انطاكية الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع
أن يثبتوا في الرب بعزم القلب .

لانه كان رجلا صالحا وممثلا من الروح القدس والايمان
فانضم الى الرب جمع غير .

ثم خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول (بولس) ولما وجده جاء به الى انطاكية فحدث انهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلما جميعا غفيرا . ودعى التلاميذ مسيحيين في انطاكية اولا - أعمال الرسل ١١ : ٢٢ - ٢٦ » .

لكن الوفاق بين برنابا وبولس لم يلبث ان انفض ، وحدثت بينهما مشاجرة لعدة اسباب منها تعصب بولس واحتكاره الدعوة المسيحية ، فذهب كل منهما لحال سبيله :

« ثم بعد ايام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد اخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم . فأشار برنابا ان يأخذا معهما ايضا يوحنا الذي يدعى مرقس . وأما بولس فكان يستحسن ان الذي فارقهما من بمفيليه ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما .

فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الآخر - أعمال الرسل ١٥ : ٣٦ - ٣٩ » .

ولم تكن آراء بولس ومعتقداته مخالفة لبرنابا فقط ، بل انها كانت موضع مؤاخنة من تلاميذ المسيح ورساله . فقد شاع عن بولس انه يحقر الناموس ويدعو الى ابطال العمل به . وقد كان هذا سببا في تدمير اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، وهم الذين تعلموا ان المسيح قد عظم الناموس ودعا دائما الى التمسك به :

« ولما وصلنا الى اورشليم قبلنا الاخوة بفرح . وفي الغد دخل بولس معنا الى يعقوب وحضر جميع المشايخ . . وقالوا له انت ترى ايها الابن اقم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا هم جميعا غيورون للناموس . وقد اخبروا عنك انك تعلم جميع اليهود الذين بين الامم الارتداد عن موسى قائلا ان لا يختنوا اولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد . فاذا ماذا يكون لابد على كل حال ان يجتمع الجمهور لانهم سيسمعون انك قد جئت فافعل هذا الذي نقول لك . عندنا اربعة رجال عليهم نذر خذ هؤلاء وتطهر معهم وانفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع ان ليس شيء مما اخبروا عنك بل تسلك انت ايضا حافظا للناموس .

حينئذ اخذ بولس الرجال في الغد وتطهر معهم - أعمال الرسل ٢١ : ١٧ - ٢٦ » .

ومهما كان من تظاهر بولس بمجاملة الناموس ، فان هذا لا يغير

من حقيقة الامر شيئاً وهو أن بولس عمل دائماً على ابطال الناموس وأحكامه،
مخالفاً بذلك تعاليم المسيح الذي قال :

« لا تظنوا انى جئت لانقض الناموس أو الانبياء . ما جئت لانتقض بل
لاكمل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف
واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » .

**أن رسائل بولس لهي خير شاهد على موقفه من الناموس
وتعاليمه ، فهو يقول :**

« ايها الفلاطيون الاغبياء .. أريد أن أتعلم منكم هذا فقط بأعمال
الناموس أخذتم الروح أم بخبر الايمان . أهكذا انتم اغبياء .

جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون
كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به .

والكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالايمان
يحيى . ولكن الناموس ليس من الايمان بل الانسان الذي يفعلها
سيحيا بها ..

قد كان الناموس مؤد بنا الى المسيح لكي نتبرر بالايمان ولكن بعد
ما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب - غلاطية ٣ : ١ - ٢٥ » .

« أنا بولس أقول لكم أنه أن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً .

قد تبطلتم عن المسيح ايها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من
النعمة - غلاطية ٥ : ٢ - ٤ » .

« انه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها
اذ الناموس لم يكمل شيئاً - عبرانيين ٧ : ١٨ - ١٩ » .

« وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال - عبرانيين ٨ : ١٣ » .

**وكذلك تصارع بولس مع بطرس - شيخ التلاميذ - واتهمه بالرياء ،
ومخالفة انجيل المسيح :**

« لما أتى بطرس الى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً . لأنه
قبلاً أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر
ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان . ورأى معه باقى اليهود أيضاً

حتى أن برنابا أيضا انتقاد الى ربائهم . ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل قلت لبطرس قدام الجميع ان كنت وانت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا - غلاطية ٢ : ١١ - ١٤ » .

ولو كان بولس من تلاميذ المسيح ، او لو كان هناك انجيل مكتوب في أيام بولس يقرأ منه ، لما كان هذا موقفه من بطرس الذى قال له المسيح :

« أنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيسة . وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات - متى ١٦ : ١٨ - ١٩ » .

لكن الذى حدث هو أن ما ربطه بطرس على الأرض حله بولس على الأرض أيضا .

ذلك بعض ما كان من أمر بولس وتعاليمه التى أوجدها فى المسيحية وكان من وراء ذلك ما كان .



هذا - ولننظر الآن فى رسائل بولس لنرى كيف كتبت ، وحقيقة امرها من ناحية الوحي .

١ - لقد كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى شكلها العام ، فقد كانت تبدأ بالتعريف بنفسه والتأكيد على أنه رسول للمسيح ، ثم يتبع ذلك بالسلام والتحيات ، وأخيرا يختمها بالحديث عن الأشواق والقبيلات الى النساء والرجال على السواء :

« بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لانجيل الله . الى جميع الموجودين فى رومية أحبباء الله مدعوين قديسين . نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح - رومية ١ : ١ - ٧ » .

« أوصى اليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخزيا . كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها فى أى شىء احتاجته منكم . لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضا .

سلموا على ابنتوس حبيبي .. سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا
كثيرا . سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيبي المأسورين معي الذين
هما مشهوران بين الرسل ..

سلموا على امبلياس حبيبي في الرب ..

سلموا على هيروديون نسيبي ..

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب ..

سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيرا في الرب ..

سلموا على روفس المختار في الرب وعلى امه امي ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ..

يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي والوكيوس وياسون

وسوسيبارس انسبائي - رومية ١٦ : ١ - ٢١ » .

« بولس المدعو رسولا يسوع المسيح بمشيئة الله .. نعمة لكم

وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح - (١) كورنثوس ١ : ١ - ٣ » .

« يسلم عليكم الاخوة أجمعون .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة - (١) كورنثوس ١٦ : ٢٠ » .

« أخيرا أيها الاخوة افرحوا .. سلموا بعضكم على بعض بقبلة

مقدسة - (٢) كورنثوس ١٣ : ١١ - ١٢ » .

سلموا على الاخوة جميعا بقبلة مقدسة - (١) تسالونيكي ٥ : ٢٦ » .

« بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله .. الى تيموثاوس

الابن الصريح في الايمان نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع

ربنا - (١) تيموثاوس ١ : ١ - ٢ » .

سلم على فرستكا واكيلا وبيت اتي سيفورس .. يسلم عليك اقبولس -

(٢) تيموثاوس ٤ : ١٩ ، ٢١ » .

« بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ الى فليمون المحبوب

والعامل معنا والى ابنة المحبوبة - فليمون ١ : ١ - ٢ » .

٢ - وكانت كتابات بولس رسائل شخصية بما احتوته من مطالب

وشكاوى وامور شخصية بحتة :

« بادر أن تجيء سريعا لأن ديماس قد تركنى .. لوقا وحده معى .
خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع الى للخدمة .

الدواء الذى تركته فى تراوس عند كاربس احضره متى جئت ..

اسكندر النحاس اظهر لى شرورا كثيرة .. فاحتفظ منه أنت أيضا
لأنه قاوم اقوالنا جدا . بادر أن تجيء قبل الشتاء - (٢) تيماثاوس
٤ : ٩ - ٢١ » .

« حينما ارسل اليك اريماس او تيخيكس بادر أن تاتى الى
نيكوبوليس لاني عزمت أن أشتى هناك - تيطس ٣ : ١٢ » .

« أنا واثق باطاعتك كتبت اليك عالما أنك تفعل أيضا أكثر مما أقول .
ومع هذا اعدد لى أيضا منزلا لاني أرجو أننى بصلواتكم سأوهب لكم -
فليمون ١ : ٢١ - ٢٢ » .

٣ - كذلك كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى مضمونها
اذ اعترف فيها صراحة بأنه كتبها من نفسه ، وأبرز فيها آراءه واجتهاداته
الشخصية التى قد تتفق وتعاليم المسيح او لا تتفق :

« أما من جهة الأمور التى كتبت لى عنها فحسن للرجل أن لا يمس
امراة .. وأما الباكون فاقول لهم أنا لا الرب ان كان أخ له امراة غير مؤمنة
وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها .. وأما العذارى فليس عندى امر
من الرب فيهن ولكننى اعطى رايًا ..

المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلها فهى
حرة لى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا
بحسب رايى .. وأظن انى أنا أيضا عندى روح الله - (١) كورنثوس
٧ : ١ - ٤٠ » .

« لست أقول على سبيل الأمر بل باجتهاد آخرين مختبرا اخلاص
محببتكم .. اعطى رايًا فى هذا أيضا لأن هذا ينفعكم - (٢) كورنثوس
٨ : ٨ ، ٦ ، ١٠ » .

« من جهة الخدمة للقديسين هو فضول منى أن اكتب اليكم -
(٢) كورنثوس ٩ : ١ » .

« هذا اكتبه اليك راجيا أن آتى اليك عن قريب - (١) تيموثاوس
٣ : ١٤ » .



(د) رسائل التلاميذ :

لا تختلف كثيرا رسائل التلاميذ عن رسائل بولس الا في وضوح هدف
كتابة تلك الرسائل وبيان تعاليمهم التي كانت مواظب شخصية .

ففي رسالة بطرس الاولى نجدها تبدأ :

« بطرس رسول يسوع المسيح الى المتغربين من شتات بنس
وغلاطية .. بمقتضى الآب .. لتكثر لكم النعمة والسلام .

وتنتهي الرسالة :

(بيد سلواتس الأخ الأمين كما اظن كتبت اليكم بكلمات قليلة
واعظا ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة » .

*

كذلك كانت رسالة يوحنا الثالثة تمثل رسالة شخصية الى :
« غايس الحبيب الذي أنا أحبه بالحق .

ايها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحا وصحيحا كما أن نفسك
ناجحة ..

ايها الحبيب أن تفعل بالأمانة كل ما تصنعه الى الاخوة والى
الغرباء ..

ايها الحبيب لا تتمثل بالشر ..

كان لي كثير لأحبه لكنني لست أريد أن اكتب اليك بحبر وقلم ..
ولكنني أرجو أن أراك عن قريب ..

فنتكلم فمالم . سلام لك يسلم عليك الاحباء .

سلم على الاحباء بأسمائهم » .

*

والآن نستطيع القول بان حالات الوحي ووسائله في أسفار العهد
الجديد لم تخرج عن نطاق ما سبق بيانه في أسفار العهد القديم .

كذلك فان أسفار العهد الجديد قد كتب أغلبها بالجهود الشخصية
لأصحابها لتحكي ما كان من أمر المسيح ورسائله في صدرها الأول .

الوحي في القرآن الكريم

ينبئنا القرآن الكريم بالكثير من اخبار الوحي ووسائله مع الانبياء السابقين فنعلم الآتى :

قد يكون الوحي بالرؤيا المنامية ، يراها العبد الصالح ، ويوقن انها وحي الله ، وعندئذ يتبع ما اوحى اليه ويسير على هديه .

ولقد كان ذلك هو الحال مع ابراهيم حين ابتلاه الله بدمج ولده الوحيد الذى لم يرزق به الا فى شيخوخته . وقام ابراهيم بعزم المؤمنين يتفقد الامر رغم ما كان يعانيه من صراعات وآلام . ولكن رحمة الله تداركت الوالد الصادق والوليد الصابر ، وصرفت عنهما ذلك الكرب العظيم :

« فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا ابيت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما اسلما وتله للجبنين . وناديناه ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين » . (الصافات : ١٠١ - ١٠٦)



ويكون الوحي بظهور الملائكة فى صور بشرية تلقى وحي الله وتعليمه الى المصطفين من خلقه وتخاطبهم بلغاتهم . وقد تعرض لذلك ابراهيم حين جاءته البشرى بولده اسحق من زوجه العاقرة سارة .

وحدث ذلك مع لوط حين جاءه النذير باهلاك قومه - وقد رأينا ذلك سلفا .



كذلك يكون الوحي بسماع اصوات الملائكة وهى تلقى وحي الله الى العبيد الصالحين مثل ما كان من امر زكريا ، ومريم ، حين جاءتهما البشرى بوكيد منتظر :

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك

ستميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك
ببى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين . .

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى
ابن مريم ، وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين « .
(آل عمران : ٣٨ - ٣٩ - ٤٥)



وتلقى موسى وحى الله فى صور شتى . فقد كان اول الوحي اليه
نداء الهى ، أحس موسى أنه صادر من الشجرة المتلألئة المباركة ، وأيقن
أنه كلام الله :

« فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ،
قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار
لعلكم تصطلون . فلما آتاها نودى من شاطيء الواد الأيمن فى اليقعة المباركة
من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين « .
(القصص : ٢٩ - ٣٠)



ويبين القرآن الكريم فى وضوح طرق تلقى اعظم الوحي - الا وهو
كلام الله - فيقول :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحييا ، أو من وراء حجاب ،
أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ، انه على حكيم « .
(الشورى : ٥١)

والمراد من الوحي فى قوله تعالى : « أن يكلمه الله الا وحييا » هو
الالهام حيث تفرض على العبد الصالح حالة لا دخل له فى تحديد كل
ما يتعلق بها من زمان ومكان وكيفية ، ولكنها حالة « فيض الهى »
يتعرض لها حتى اذا ما فارقته كان قد وعى تماما ما ألهم به .

ومن ذلك ما حدث لام موسى فيما حكاه الله بقوله :
« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى
اليم ، ولا تخافي ولا تحزنى ، أنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين «
(القصص : ٧)

أما الحالة الثانية فهى الكلام « من وراء حجاب » كما حدث لموسى
الذى عرف أنه كليم الله : « وكلم الله موسى تكليما » .
(النساء : ١٦٤)

ولا يمكن التصور ولو للحظة واحدة أن الحديث عن كلام الله هنا يمكن أن يعطى مفهوما الحالة يتم فيها « عمل ميكانيكى » ينتج عنه أحداث صوت أو نحوه - ذلك أن الله « ليس كمثل شئ وهو السميع البصير » (الشورى : ١١)

وقد شرح الغزالي ذلك بقوله : « وسماع النبى من الله يكون بغير واسطة . . ويستحيل أن يكون بحرف أو صوت ، لكن يكون بخلق الله علما ضروريا يدرك به الرسول ثلاثة أمور : أولها - أن المتكلم هو الله تعالى ، وثانيها : أن ما سمعه هو كلام الله سبحانه ، وثالثها : مراد الله من كلامه عز شأنه والقدرة الالهية الأزلية لا تقصر عن ذلك » (١) .

أما الحالة الثالثة فانها تكون عن طريق الملك الذى يأتى العبد الصالح رسولا من عند الله فينقل إليه كلام الله محدد المعالم ميسر البيان . وذلك ما يفهم من قوله تعالى :

« أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء » .

والقرآن الكريم هو كلام الله الذى نزل على رسوله ، وأمر بتبليغه الى الناس جميعا :

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت » .
(الأعراف : ١٥٨)

ولقد أمر الرسول أن يبين للناس كل ما يتعلق بالقرآن حتى يكون دخولهم في دين الله عن بصيرة واقتناع يقوم على المنطق والبرهان :

« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » .
(النحل : ٤٤)

« فان تنازهتم في شئ فردوه الى الله والرسول . . ذلك خير وأحسن تأويلا » .
(النساء : ٥٩)

وكان أول ما نزل من القرآن دعوة صريحة الى التعليم ، وتكريما للعلم ، وتقديرا لحقيقة علمية ترتبط بخلق الانسان الذى يجب أن يعرف هم كانت نشأته :

(١) الوحي الى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكي -
ص ٨٣ ، ٨٤ .

« اقرا باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرا وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . »
(العلق : ١ - ٥)

ولقد عرفت هذه السور باسم : سورة « العلق » .

وعن طريق هذا التعليم الالهى عرف اهل الصحراء منذ نحو اربعة عشر قرنا مضت - وهم على حالهم ذاك من البداوة والتخلف ، ودون معرفة بطرق العلم الحديث وأدواته من ميكروسكوب وغيره - ان بذرة الانسان الأولى انما هى كائن حى يسعى ، وان كان لا يرى بالعين المجردة .

وباشراق هذا الروح المضيء على المسلمين الأوائل ، فتفتحت قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه ، واتطلقوا فى طريق العلم يبحثون عن الحق والخير ، وما كان لهم من معلم سوى الرسول النبى الأسمى الذى جاءه العلم وحيا من عند الله .

وكانوا لذلك يسألونه ، وينتظر الرسول خبر السماء ، حتى اذا جاءه علمه ما يقول :

« يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم »
(البقرة : ٢١٥)

« ويسألونك عن المحيض ، قل هو اذى ، فاعزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .
(البقرة : ٢٢٢)

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها الا هو ، نقلت فى السموات والأرض ، لا تأتيكم الا بفتة » .
(الأعراف : ١٨٧)

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .
(الاسراء : ٨٥)

ولقد حدث ابن أبى مليكة قال ان : عائشة زوج النبى كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه .
(م ٥ - الوحي)

وما كان أمر الوحي ليمضي دون سؤال ولو من بعض المسلمين
الأوائل الذين فاتهم نصيب من مشاهدة إحدى حالاته ، وهؤلاء أجابهم
الرسول وعلمهم ما كان من أمره .

كذلك تكلم الصحابة في أمر الوحي وشهدوا بما رأته أعينهم من
حالات ، وما سمعته آذانهم من أصوات تصاحب نزول الوحي كأنها
دوى النحل أو صلصلة الجرس .

فلقد سأل الحارث بن هشام الرسول فقال : يا رسول الله :
كيف يأتيك الوحي ؟ . فقال الرسول : أحيانا يأتيني مثل صلصلة
الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال . وأحيانا
يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول .

وقالت عائشة : « أول ما بدى به رسول الله من الوحي : الرؤيا
الصالحة في النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حبب إليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه . . حتى
يجاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ . قال ما أنا بقارئ .
قال (الرسول) فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال
اقرأ . قلت ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد
ثم أرسلني . فقال اقرأ قل ما آتانا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة
ثم أرسلني .

فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق - خلق الإنسان من علق - اقرأ
وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة
بنت خويلد فقال : زملوني . . زملوني . . فزملوه حتى ذهب عنه الروع .
فقال لخديجة وأخبرها الخبر :

لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا والله . ما يخزيك الله
أبدا . أنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ،
وتعين على نوائب الحق « (١) .

ان التجارب الانسانية تبين ان الأحداث الهامة في حياة الافراد
والأمم تلازمها دائما الشدة والجهد . . وهي لذلك تستقر في باطن
العقول ، وتنطبع في اعماق النفوس ، وتستولى على المشاعر والوجدان ،
وتحكم سلوك الناس أزمانا طويلة .

ولا شك ان الوحي من اخطر ما عرفته البشرية من احداث فرادى وجماعات ، اذ انه شيء يتعلق بحياتهم الحاضرة ومصيرهم الأبدى .

وما كان الوحي لينزل على رسل الله وهم في لهو وسرور وعنه غافلون ، لا يعاون به ولا يدرون من امره شيئا .

لكن تجربة الوحي معهم كانت تلازمها دائما شدة وتنبية خاص يهيب السبيل لطبع آياته في عقولهم ، ونقش تعاليمه في افئدتهم .

ولقد كان هذا هو حال موسى الذي كان يغطى وجهه وتغير هيئته فزعا من خطورة الموقف .

ففى أول وحي تلقاه موسى - كما تذكر أسفاره :

غطى موسى وجهه لانه خاف - خروج ٣ : ٦ « .

« وكان لما نزل موسى من جبل سيناء والوفا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه . فنظر هارون وجميع بنى اسرائيل موسى واذا جلد وجهه يلمع . فخافوا ان يقتربوا اليه . »

ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقما - خروج ٣٤ : ٢٠ - ٣٣ « .

وتتكلم عن ذلك أسفار العهد الجديد فتقول : « كان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى انا مرتعب ومرتعد - عبرانيين ١٢ : ٢١ « .

ولقد كانت تجربة الوحي شديدة على الرسول كحالة غير عادية تفرض عليه ، فيعانى من شدتها ما يعانى . وفى هذا قال عبادة ابن الصامت :

« كان النبى اذا نزل عليه الوحي كرب له ، وتربد وجهه » .

وقال زيد بن ثابت - كاتب رسول الله : « انزل (الوحي) على رسول الله وفخذه على فخذى فكادت ترض فخذى » (١) .

وقال ابو اروى الدوسى : رايت الوحي ينزل على النسبى وانه على

(١) تفسير ابن كثير .

راحلته ، فترغو ، وتفتل يديها حتى اظن ان ذراعها تنقسم فربما بركت
وربما قامت مotide يديها ، حتى يسر عنه من ثقل الوحي ، وانه ليتحدث
منه مثل الجمان « (١) » .

ولم تكن شدة الوحي امرا تفرد به موسى ومحمد دون غيرهما من
انبياء الله ، انما كانت ظاهرة مشتركة خبروها جميعا ، وان اختلفت
مقادير شدتها ووقعها .

ويزيدنا القرآن توضيحا لما حدث لموسى في اول وحي تلقاه ،
فنعلم انه كان يعاني من ضيق صدره لهول ما تعرض له كيانه البشري في
تجربة ذلك الاتصال الروحي العالى . وبعد أن خفت عليه شدة
التجربة ، وبدأ يملك زمام نفسه - انطلق لسانه بالدعاء الى الله ان يشرح
له صدره حتى يهون عليه امر الوحي ، ويطيقه دون اجهاد :

« قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى امرى » (طه : ٢٥-٢٦) .

ولقد من الله على رسول الاسلام اذ شرح له صدره ، ومكنه بذلك
ان يطيق ثقل الوحي ويتحمل الضيق والشدة التى تلازم نزوله ، فقال :

« ألم نشرح لك صدرك ... » (الشرح : ١) .



وبين موسى ومحمد نجد مصاييح كثيرة من الانبياء عرفت الشدة
عند حدوث الوحي ونزول الروح الملائكى من السماء وصمدت لتلك
الحال .

ولقد راينا سابقا كيف تلقى ايليا وحي السماء وسط جو مفزع
حدث فيه « ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور . .
وبعد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار . . وبعد النار صوت منخفض
خفيف . فلما سمع ايليا لف وجهه برداءه - الملوك الاول ١٩ :
١١ - ١٣ » .

وراينا كيف كانت شدة الوحي مع اشعياء ، وكيف عامله الملاك

(١) الطبقات الكبرى ابن سعد - بيروت ١٩٦٠ - الجزء الاول -

بعنف لدرجة انه كوى شفثيه بالجمر المتهب ، حتى يهيئه لتلقى الوحي وحمل الرسالة الى شعبه :

« طار الى واحد من السرافيم (الملائكة) ويديه جمره قد اخذها بملقط ومس بها فمى وقال ان هذه مست شفثيك فانزع اثمك وكفر من خطيتك .

ثم سمعت صوتا قائلا من ارسل ومن يذهب من اجلنا . فقلت هانذا ارسلنى . فقال اذهب وقل لهذا الشعب - اشعياء ٦: ٦-٩ .

وكذلك كان الوحي شديدا مع حزقيال الذى يصف ذلك ويقول :

« حملنى روح فسمعت خلفى صوت رعد عظيم مبارك مجد الرب من مكانه وصوت أجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد بأخيه وصوت البكرات معها وصوت رعد عظيم . فحملنى الروح واخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى ويد الرب كانت شديدة على .

فجئت الى المسبيين . . وحيث سكنوا هناك سكنت سبعة ايام متحيرا فى وسطهم - حزقيال ٣ : ١٢ - ١٥ « .

ولم تكم معجزات المسيح تجرى على يديه فى اى وقت شاء ، ولكنها حدثت كما ارادها الله توقيتا وكيفية ، وهيا لها المسيح بما امده من روح وقوة . وحين كان يفتقد المسيح ذلك المدد الالهى فاته كان يعجزا تماما عن فعل المعجزات حتى ولو وقف فى مجال التحدى امام أعدائه والمستهزئين به من اليهود :

« كانوا يعثرون به : فقال لهم يسوع ليس نبي بلا كرامة الا فى وطنه وبين اقربائه وفى بيته .

ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة (معجزة) واحدة - مرقس ٦ : ٣ - ٥ « .

« خرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء الكى يجربوه فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية . الحق اقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية - مرقس ٨ : ١١ - ١٢ « .

ولكن حين يستقبل المسيح ذلك الفيض الالهى ، ويهايا بذلك لصنع المعجزة فانها حين تحدث تصاحبها معاناة نتيجة لما يفقده المسيح من طاقة يحسها ويشغل نفسه بها :

« وامرأة تنزف دم منذ اثنتى عشرة سنة .. لما سمعت يسوع جاءت في الجمع من ورائه ومست ثوبه .. فلما وقت جف ينبوع دمها وعلمت في جسمها انها قد برئت من الداء .

فلما وقت التفت يسوع بين الجمع شاعرا في نفسه بالقوة التي خرجت منه وقال من لمس ثيابي :

فقال له تلاميذه أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسني وكان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا .

وأما المرأة فجاءت وهى خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها فخرت وقالت له الحق كله - مرقس ٥ : ٢٥ - ٣٣ » .

ولقد كان جبريل ينزل بالقرآن ، يوحى به الى الرسول ويقرؤه عليه آيات مفصلات . وكذلك كان ينزل جبريل بغير القرآن ليعلم الرسول امورا تختص به وبدعوته ، ولقد كان أكثر نزوله في رمضان حين كان يدارس الرسول القرآن .

قال ابن عباس : « كان رسول الله أجود للناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل . وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله أجود بالخير من الريح من المرسله » (١) .

ولقد شاهد المسلمون الأوائل صورا كثيرة من هذا التعليم السماوى، حدثت احداها حين كان الرسول في جمع من صحابته واذا بجبريل قد أقبل على مجلسهم متمثلا رجلا شديدا بيضا الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يبدو عليه آثار السفر . وقد كان في هيئة بشرية ترتاح لها النفوس وتطمئن لها القلوب ، وبدأ جبريل تعليمه بأسلوب المناقشة التي تقوم على طرح السؤاال على الرسول ، وتلقى الجواب منه ، ثم التعليق عليه . وبذلك يتشوق السامعون لمعرفة الاجابات التي شغلتهم أسئلتها ، فتستقر المعرفة في ذاكرتهم . قال أبو هريرة :

« كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال :

ما الايمان ؟ قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . قال صدقة - قال : ما الاسلام ؟ قال الاسلام أن تعبد

الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان .
قال صدقت .

قال : ما الاحسان ؟ قال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك . قال صدقت .

قال : متى السالمة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل .
وسأخبرك عن أشراتها . ثم أدبر . فقال (النبى) ردوه على . فلم
يروا شيئا .

فقال : هذا جبريل ، جاء يعلم الناس دينهم « (١) » .

ومن هذا الوحي وأمثاله علم الرسول المؤمنين تفاصيل الدين وبين
لهم حدود الشريعة ، وضرب لهم المثل فى القول والفعل ، واستن بذلك
سننا وجب على المسلمين اتباعها والسير على هداها .

وعلى ضوء ذلك نستطيع ان نفهم قول الله :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله »
(الحشر : ٧)



ويستطيع الانسان ان يجمع ما يمكن جمعه من الاسفار والكتب
المقدسة ثم ينظر فيها جميعا ، فلن يجد كتابا مثل « القرآن » يعلم
قارئيه ويتقنهم بمختلف الأدلة والبراهين - انه كلام الله الذى نزل على
رسوله وحيا ، وهو آيات الله البينات التى تلاها النبى العبرى على
مسمع العالمين :

« انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، واوحينا
الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس
وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك
من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً . رسلا
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله
عزيزاً حكيماً . لكن الله يشهد بما أنزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون ، وكفى بالله شهيداً » .
(النساء : ١٦٣ - ١٦٦)

« قال انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم الله واحد ،

(١) صحيح البخارى ومسلم - الجزء الاول .

أقمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا «
(الكهف : ١١٠)

« كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أُمم لتتلوا عليهم الذي
أوحينا إليك ، وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت
واليه متاب . »
(الرعد : ٣٠)

« قل إنما أنذركم بالوحي ، ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما يندرون «
(الأنبياء : ٤٥)

« قل الله شهيد بيني وبينكم ، وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به
ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد ، قل إنما
هو اله واحد وإنني بريء مما تشركون . »
(الأنعام : ١٩)

وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراء واعانه عليه قوم آخرون ،
افقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه
بكرة وأصيلا . قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ، انه كان
غفورا رحيفا .
(الفرقان : ١ - ٦)



ولابد لمن يدرس موضوع « الوحي في القرآن » أن يقف طويلا امام
عدد من الآيات المحكمات يتدبرهن ، ويفكر مخلصا مع نفسه فيما تنطق به ،
ولسوف يخرج من ذلك بنتائج محددة تبصره تماما بحقيقة الوحي في
القرآن .

وتصدر هذه الآيات ، تلك الدعوة الالهية الصريحة الى الناس أن
يتدبروا القرآن ويعوا آياته ، وعندئذ سيعلمون أنه قول « الحق » الذي
لا جهالة فيه ولا اضطراب ولا تناقض ، وأنه مبرا عن كل ما ينسب لقول
البشر من قصور واختلاف :

« أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا . »
(النساء : ٨٢)

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تقون . . وأن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين .
(البقرة : ٢١ ، ٢٣ - ٢٤)

ومن الواضح ان هذا التحدى القرآنى لا يقتصر على من كذب
بالقرآن من الأعراب الذين عاصروا نزوله ، وحاولوا اللغو فيه والاحاد
فى آياته ، انما هو تحدى يلقاه كل من يكفر بالقرآن منذ تنزلت آياته الى
ان يرث الله الأرض ومن عليها .

والقد أوجز القرآن موضوع التحدى هذا فى كلمات قليلة
حين قال :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ،
لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . (الاسراء : ٨٨)

ولا يستطيع عاقل يعلم اقل القليل من سيرة الرسول وتواضعه
وخلقته ، او حتى لا يعلم شيئا من ذلك ، ثم يفضل عما يذكره القرآن عن
الكذابين من مدعى النبوة والرسالة الذين افتروا على الله الكذب ، فزعموا
ان وحى الحق تنزل اليهم - فقد جعل القرآن هؤلاء بحق اظلم الظالمين :

« ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ، او قال اوحى الى ولم يوح
اليه شيء ، ومن قال سأتزل مثل ما انزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون فى
غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم ، اليوم تجزون
عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته
تستكبرون .

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء
ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقد
تقطع بينكم وفضل عنكم ما كنتم تزعمون » . (الانعام : ٩٣-٩٤)

« فمن اظلم ممن افترى على كذبا ، او كذب بآياته ، اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم
تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين .

قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ،

كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا أداركوا فيها جميعا قالت أخراهم
لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف
ولكن لا تعلمون » .
(الأعراف : ٣٧ - ٣٨)

« ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا ، أولئك يعرضون على ربهم
ويقولون الاشهد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، الا لعنة الله على الظالمين ..

أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون . لا جرم
أنهم في الآخرة هم الآخسرون » .
(هود : ١٨ ، ٢١ - ٢٢)

« ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به ، وأسروا الندامة
لما رءوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون » .
(يونس : ٤٥)

وما كان الانسان ليصل بظلمه غاية مداه فيفتري على الله الكذب
ويقول حسبا املاه عليه هواه ثم يترك مسترسلا في ضلالاته دون عقاب
يصيبه في الدنيا قبل الآخرة .

ونعلم من القرآن أن محمدا لو تقول على الله شيئا من عنده ،
لجاءه القتل عقابا سريعا لا زاد له من الله :

« ولو تقول علينا بعض الاقاويل . لاخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا
منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » . (الحاقة : ٤٤-٤٧)

ونجد توراة موسى تذكر أن الموت العاجل لا بد وان يباغت كل من
يدعى كذبا انه نبي لله يتلقى وحيه ويتكلم زورا باسمه .

« أما النبي الذي يظني فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به
أو الذي يتكلم باسم الهة أخرى ، فيموت ذلك النبي - تثنية ٢٠: ١٨ » .

وواضح أن الموت هنا يقصد به القتل أو الموت العاجل الذي ينهى
حياة مدعى الرسالة ، ولا يمكن أن يعنى ذلك الموت الطبيعي الذي ينتظره
كل الناس .

فعندما يقول الله عن مخلوق انه « يموت » فان هذا يعنى انه يقتطع
من الأرض بأحد الوسائل التي تعجل بنهايته مثل القتل أو الفرق ونحوه ،
لأنها جميعا وسائل تفضي الى الموت العاجل .

ونعلم ذلك من شواهد كثيرة منها أنه عندما أراد الله هلاك قوم نوح قال له :

« نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض قد امتلأت ظلما منهم .
فها أنا مهلكهم مع الأرض .. ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل
جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت ..

وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض .. فمات كل ذى جسد كان
يدب على الأرض .. كل ما في أنفه نسمة روح حياة كمن كل ما في
اليابسة مات - تكوين ٦ : ١٣ ، ١٧ ، ٧ / ١٧ : ٢١ ، ٢٢ » .

ومن الواضح أن الموت هنا تم عن طريق الفرق الذي لا يعتبر موتا
طبيعيا ، كذلك يعنى الموت أحداث الوفاة عن طريق المرض أو القتل ، كما
يتبين ذلك من قصة أبيمالك الذي حاول اغتصاب سارة زوجة ابراهيم :

« وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختي . فأرسل أبيمالك ملك
جرار وأخذ سارة فجاءه الله الى أبيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت
من أجل المرأة التي أخذتها فانها متزوجة ببعل .. فقال يا سيد أمة بارة
تقتل . ألم يقل هو لى أنها أختي ..

فقال له الله في الحلم .. الآن رد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلى لأجلك
فتحيا . وان كنت لست ترددها فأعلم أنك موتا تموت وأنت وكل من لك -
تكوين ٢٠ : ٢ - ٧ » .

وتؤكد أسفار موسى نفس المعنى للموت ، كما ورد في حكم من يحاول
قتل صاحبه :

« إذا بغي انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه
للموت - خروج ٢١ : ١٤ » .

فالمقصود بالموت هنا هو القتل ..

ويتبين مما جاء ذكره في كل من الكتاب المقدس والقرآن ان احدى
العلامات التي يعرف بها مدعى النبوة الذي يكذب على الله ، هو ان يقتلع
من الأرض قبل ان يتم دعوته ويكون ذلك بالموت قتلا أو نحوه . ولا يمكن
ان يعنى هذا ان كل من عجل بنهايته ومات قتيلا من الأنبياء بأنه قد كذب
على الله ، ولكن العكس في رأيي - هو الصحيح وهو ان كل من كذب على
الله فقد اقتلع من الأرض قبل الأوان .

ومن ناحية اخرى فاننا نجد في الكتاب المقدس علامة اخرى هامة يعرف بها النبي الصادق صاحب رسالة الحق الى العالمين ، وهي ان الله يمسك بيده ويحفظه من كل شر حتى يتم رسالته ويخرج من ارسل اليهم من الظلمات الى النور :

« هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها ، باسط الارض ونتائجها معطى الشعب نسمة الساكنين فيها روحا .

انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم ، لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس الأسورين ، من بيت السجن الجالسين في الظلمة - اشعيا ٤٢ : ٥ - ٧ » .

ويقول الله لرسوله في القرآن :

« يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » . (المائدة : ٦٧)

فهذا وعد صريح للرسول بأنه لن يوجد من يعجل بالقضاء عليه من الناس . وقد انبأت آيات القرآن بالنصر المؤكد للرسول ودعوته في الدنيا والآخرة . وما على الدين رفضوا قبول تلك النبوة حجودا ومكابرة الا أن يفعلوا بانفسهم ما يشاءون من شنى وغيره ، لعل في ذلك ما يطفى غيظ القلوب المكابرة :

« من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر ، هل يذهب كيد ما يفيظ » . (الحج : ١٥)

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » . (التوبة : ٣٢ - ٣٣)

وأستمرت آيات الله تنزل على الرسول حتى اكتملت دعوته وبلغ الأمر غايته ، ونزل قول الله :

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » . (المائدة : ٣)

من كل ما سبق نستطيع القول بان ادعاء النبوة والقول زورا بتلقى الوحي من الله انما هو امر خطير ، تصجل عقوبته في الدنيا قبل الآخرة ، فيقطع ذلك الدعوى من الأرض قبل أن يتم دعوته .

* *

وخلاصة القول في موضوع الوحي ان وسائله كثيرة وطرقه متنوعة ، تشابهت جميعها في اليهودية والمسيحية والاسلام .

ولا يصح لأحد ان يؤمن بها هذا وينكرها هناك ، او يسلم بصدقها في كتاب مقدس ثم يجحد امرها في كتاب سماوى آخر .

فلم يكن الوحي الى النبي محمد خروجاً عن المألوف الذى تعرض له الأنبياء السابقون في هذا المجال ، ولا محل - اذن - للمعجب او الاستنكار . وانما العجب حقا يتمثل في موقف الجاحدين للوحي المحمدى من الكفار أيام الرسول وممن لا يزال على كفره بالنبى ورسالته من أشياءهم حتى اليوم . وهنا يستنكر « الحق » موقف هؤلاء وهؤلاء الذين جهلوا حالات الوحي وتاريخ النبوات أو تجاهلوا عن عمد فيقول :

« الر تلك آيات الكتاب الحكيم . أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن انذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال الكافرون ان هذا لساحر مبين » . (يونس : ١ - ٢)

والحق أن الوحي المحمدى استمرار للوحي الى الأنبياء السابقين ، لا عجب في حالاته ولا غرابة في وسائله وكيفياته . وصدق الله اذ يقول لنبيه :

« انا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » .

ان الوحي تجارب خاصة وحالات غير عادية تعرض لها رجال الله المصطفون الأخيار ، واحتملوا شدتها وبأسها ، وبلغوا للناس ما امرؤا بتبليغه اليهم ، فكان هدياً ونوراً للمالين .

* * *

الفصل الثالث

البحر

الجن

يتفق بعض المؤمنين على الايمان بالجن ، وقدراته الخارقة ، بينما اهتز ذلك الايمان - ان لم يكن قد انتهى تماما - عند اغلب المؤمنين ، فصاروا يعتبرون الكلام عن الجن وامكانية وجوده وتأثيراته في عالمنا المحسوس كأنها ضرب من الأساطير القديمة والشعوذة التي لا يقبلها العقل المتقدم لانسان القرن العشرين .

ومنذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا نجد ان الانسان قد تعامل مع الجن ، واتصل به وحاول استغلال قدراته الهائلة في تحقيق رغباته ، واستطلاع الغيب ، واحداث الظواهر العجيبة التي هي خوارق لملا الاعتاد عليه الناس ، فتصيبهم بالدهشة والحيرة وتستولى على عقولهم .

ذلك هو السحر الذي يعد من أقدم علوم البشرية وتجاربها مع عوالم المخلوقات الأخرى الخفية .

ولسوف نبحت موضوع الجن من خلال ما تذكره الكتب المقدسة .



الجن في العهد القديم

١ - استعمل فرعون سحرته وعرافيه لياتوا بسحر واعاجيب تقف امام الاعاجيب التي اجراها الله على يد موسى وأخيه هارون ، حتى يشبت لشعبه ولبنى اسرائيل قدرته وتفوقه . فحين حول موسى عصاه ثعبانا « فعل عرافوا مصر ايضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين - خروج ٧ : ١١ - ١٢ » .

وحين حول موسى وهارون ماء النهر الى دم « فعل عرافوا مصر كذلك بسحرهم فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب - خروج ٧ : ٢٢ » .

وحين ملا موسى وهارون الأرض بالصفاد « فعل كذلك العرافون بسحرهم واصعدوا ، الصفاد على أرض مصر - خروج ٨ : ٧ » .

٢ - من اجل ذلك حذرت شريعة موسى من التعامل مع الجن تلك الأرواح الخفية التي غالبا ما تضل المؤمنين :

« لا تلتفتوا الى الجان ولا تطلبوا التوابع فتنجسوا بهم - لاويين ١٩ : ٣١ » .

ولقد فرضت التوراة أقصى العقوبات على النفس البشرية التي يمتلك الجان فيها حظا سواء كان ذلك طوعا بإرادتها ، او كرها أجبرت عليه بتسلط الجان على تلك النفس . ولقد بلغت العقوبة حد القتل رجما :

« النفس التي تلتفت الى الجان والى التوابع لتزنى ورأتهم أجعل وجهى ضد تلك النفس واقطعها من شعبها .. »

إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فانه يقتل بالحجارة ، يرمونه ، دمه عليه - لاويين ٢٠ : ٦ ، ٢٧ » .

٣ - ولقد ذهب عن شاول - اول ملك في بني اسرائيل - الروح الملائكى الكريم الذى اكرمه الله به ، وحل عليه روح شيطاني شرير عقابا له على عصيانه أوامر الله . وكانت روح الشر تخف حذتها ويهدأ ما تشيره من اضطراب في نفس شاول حين تستمع الى الضرب بالعود الذى تميز به داود نبي الله وملك اسرائيل فيما بعد :

« وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردىء من قبل الرب ، فقال عبيد شاول له هذا روح ردىء من قبل الله يفتكك . فليأمر سيدنا عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود .. »

فجاء داود الى شاول ووقف أمامه .. وكان عندما جاء الروح من الله على شاول أن داود أخذ العود وضرب بيده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الردىء - صموئيل الأول ١٦ : ١٤ - ٢٣ » .



وتروى الأسفار حكاية غريبة كل الغرابة عن تأثير الجان وتابعيه من الانس ، وتسلطهم على ارواح الموتى بما في ذلك الأتيساء ، فقد حدث « في تلك الأيام أن الفلسطينيين جمعوا جيوشهم لكي يحاربوا اسرائيل » . وكان صموئيل النبي قد مات ، ولم يجد شاول من يستشيريه في الأمر ، ويسأل الله له النصر . وعندئذ ذهب شاول ليبحث عن أحد السحرة أو العرافين لعل احدا منهم يقدم له العون ، رغم أنه كان في أيام صلاحه مع الله قد « نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض » . ولقد « سأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأتيساء . فقال شاول لعبيده فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فأذهب اليها وأسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور . فتنكر شاول

وذهب الى المرأة ليشأ وقال العرق لى بالجبان واصعدنى الى من أقول لك . . فقالت المرأة من أصعد لك فقال اصعدى الى صموئيل : فلما رات المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم . . فقال لها الملك لا تخافى . فماذا رأيت . فقالت المرأة لشاول رأيت آلهة يصعدون من الأرض . فقال لها ما هى صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو منطفى بجبة . فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه الى الأرض وسجد . فقال صموئيل لشاول لماذا أفلقتنى باصعدك اباى . فقال شاول قد ضاق بى الأمر جدا . الفلسطينيون يحاربونى والرب فارقتى ولم يعسد يجيبنى لا بالانبياء ولا بالأحلام فدعوتك الكى تعلمنى ماذا أصنع . فقال صموئيل ولماذا تسألنى والرب قد فارقتك وصار عدوك . وشق المملكة من يدك وأعطاها لقرينك داود . . ويدفع الرب اسرائيل أيضا معك ليد الفلسطينين وغدا أنت وبنوك تكونون معى ويدفع الرب جيش اسرائيل أيضا ليعسد الفلسطينين . فأسرع شاول وسقط على طواله الى الأرض وخاف جدا من كلام صموئيل - صموئيل الأول ٢٨ : ١ - ٢٠ .

ان هذه القصة تطرح كثيرا من التساؤلات فيما يتعلق بمصير الانسان بعد الموت ، وهى تصدم ولا شك الملايين من أصحاب العقائد غير اليهودية، وخاصة اذا علمنا من أسفار موسى وغيره ، أن الهاوية مكان مفزع ، ودار عذاب فى باطن الأرض .

فقد قال موسى عن قوم اخطأوا الى الله : « ان ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلمتهم وكل ما لهم فهبطوا احياء الى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب . فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام اشقت الأرض التى تحتهم . وفتحت الأرض فاها وابتلمتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح من كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم احياء الى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجملة - عدد ١٦ : ٣٠ - ٣٣ . »

وقال داود لابنه سليمان فى وصيته الأخيرة : « أنت أيضا تعلم ما فعل بى يوأب ابن بصرويه فافعل حسب حكمتك ولا تدع شيبته تنحدر بسلام الى الهاوية . »

هوذا معك شمعى بن جيرا البنيامينى وهو لعننى لعنة شديدة . . فلا تجزره لانك أنت رجل حكيم فاعلم ما تفعل به واحذر شيبته بالدم الى الهاوية - الملوك الأول ٢ : ٥ - ٩ .

فمن ذلك يتبين ان الايمان بالجن ووجوده وتأثيره في الانسان يمثل
احدى العقائد التى تقوم عليها أسفار العهد القديم .

الجن فى العهد الجديد

يذكر الانجيل ان المسيح اخرج شياطين - وهى ارواح شريرة من
الجن - من جسد بعض المجانين . وقد حلت تلك الشياطين فى جسد
قطيع من الخنازير فاغرقته فى البحر :

« ولما جاء الى العبر . . استقبله مجنونان خارجان من القبور
وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى . فالشياطين طلبوا اليه قائلين
ان كنت تخرجنا فاذن لنا ان نذهب الى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا
فخرجوا ومضوا الى قطيع الخنازير واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من
على الجرف الى البحر ومات فى المياه - متى ٨ : ٢٨ - ٣٢ » .

« وشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة واخرج شياطين كثيرة -
مرقس ١ : ٣٤ » .

« ولما صار المساء قدموا اليه مجانين كثيرين فاخرج الأرواح بكلمة
وجميع المرضى شفاهم - متى ٨ : ١٦ » .

« وكان يخرج شيطانا وكان ذلك اخرس . فلما اخرج الشيطان
تكلم الاخرس . فتعجب الجموع . واما قوم منهم فقالوا ببعلزبول رئيس
الشياطين يخرج الشياطين - لوقا ١١ : ١٤ - ١٥ » .

*

وتكون العرافة ومحاولة التنبؤ بالغيب التى تثير عجب الناس - هى
احدى مظاهر تعامل الجن مع الانسان :

« حدث بينما كنا ذاهبين الى الصلاة ان جارية بها روح عرافة
استقبلتنا وكانت تكسب مواليتها مكسبا كثيرا بعرافتها . هذه اتبعت بولس
وايانا وصرخت قائلة هؤلاء المناس هم عبيد الله العلى الذين ينادون لكم بطريق
الخلاص . . فضجر بولس والتفت الى الروح وقال انا آمرك باسم يسوع
المسيح ان تخرج منها . فخرج منها . فخرج فى تلك الساعة - اعمال الرسل
١٦ : ١٦ - ١٨ » .

ويحاول ابليس - كبير الشياطين - ان يدخل في صراعات ومجادلات مع كل الخلق بغية الفتنة والاضلال حتى مع الملائكة :

« أما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم ابليس محاجا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب - رسالة يهوذا : ٩ » .

« من يفعل الخطية فهو من ابليس لأن ابليس من البدء يخطيء - (١) رسالة يوحنا ٣ : ٨ » .

*

مما سبق يتضح أن أسفار العهد الجديد تعترف بالجن وقدراته ، بل وتعتبره سببا لكثير من الأمراض الصعبة التي تصيب الإنسان مثل : الجنون والخرس . ولما كان الإنسان ميالا بطبعه الى استطلاع الغيب ومعرفة أحداثه قبل وقوعها فإنه يصاب بالدهشة ويقف عقله جامدا امام القدرات الخارقة التي تظهر في هذا المجال من العرافين والمنتبين ، وذلك حين يعجز عن تفسير هذه الظواهر التي تعتبر على أساس ما سبق بيانه نوعا من الالقاء أو الوحي من الجن الى الإنسان .

الجن في القرآن الكريم

خلق الله الإنسان الاول - آدم - من مادة التراب ثم نفخ فيه الخلاق العظيم من روحه فحدث فيه الحياة بكل معانيها .

ومن قبل خلق الله الجن من طبيعة أخرى غير الطبيعة الانسانية . فلقد خلقت الجن من طبيعة طاقية ذات صفة حرارية عالية الدرجة ، كتلك التي نحسها من النار المتأججة شديدة النفاذية :

« ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم » . (الحجر : ٢٦ - ٢٧)

وللجن اهتزازة الخاص به ، وتلك خاصية من خواص الطاقة التي نعرفها اليوم في صورها المختلفة من حرارة ، وضوء ، وكهرباء ، ومغناطيسية . الخ .

فلكل من هذه الطاقات اهتزازه ، أو ذبذبة تتحدد بها .

فعندما تلقى موسى الرسالة ، أمره الله أن يلقى عصاه ، وإذا بها تتحول الى حية تهتز يمنة ويسرة كأنها جان ، الأمر الذي أفزع موسى :

« وأن الق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ، يا موسى أقبل ولا تخف أنك من الأمنين » . (القصص : ٣١)

ولقد كان ابليس واحداً من الجن ثم تقرب الى الله بالعبادة وانقطع لها . لكنه فتن بعد خالق آدم حين داخلاه الكبر والغرور فمضى الله وكفر وتحول الى شيطان :

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » . (الكهف : ٥٠)

ويقصر بصر الانسان عن مشاهدة الجن في صورته الطاقية وما ذلك الا لأن ذبذبة طاقته عالية جداً الى الدرجة التي تخرجها عن نطاق ذبذبة الضوء التي يحسها الانسان :

« يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » (الأعراف : ٢٧)

والجن عالم اقل ما يوصف به انه مماثل لعالم الانسان بما فيه من حياة وموت ، وعلم وعمل ، وايمان وكفر . وللجن رسالات وفيه مرسلون .

« واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي الى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم » . (الاحقاف : ٢٠ - ٣١)

وتقول الجن :

« وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قدا » .

(الجن : ١١)

ويقول الله للجن والانس يوم القيامة :

« يا معشر الجن والانس اقم رسلكم منكم يقصون عليكم آياتي ويندرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين » . (الانعام : ١٣٠)

ولقد اتصل الانس بالجن ، وسخر كل منهم الآخر لمصالحه ومنتعه الخاصة ، وظهر السحرة من بنى الانسان يفسدون في الارض ويفتنون الناس عن دين الله . ولقد توعد الله امثال هؤلاء من الانس والجن بالعذاب المهين يوم القيامة :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا » . (الجن : ٦)

« ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ، ان ربك حكيم عليم » . (الانعام : ١٢٨)

ومن الجن من تسلط على نفر من الانس ، وصار يوحى اليهم سيء الاقوال وفواحش الافعال فحول الانسان بذلك الى شيطان يضل الناس عن طريق الحق :

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى اولياؤهم ليجادلوكم ، وان اطعمتوهم انكم لمشركون » . (الانعام : ١٢١)

ومن الانس شياطين تناظر - ان لم تتفوق في شرورها على - شياطين الجن وخاصة في مجال الفتنة وبلبة الخواطر . وذلك حين :

« يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » . (الانعام : ١١٢)

ومن الجن من يعمل قرينا للانسان يلزمه طول حياته ويعلم دخائل نفسه . وهو الذي يوسوس للانسان بمختلف الوسوس والشكوك ويزين له طريق الشر . ثم يوم القيامة يختصم الانسان مع قرينه امام الله ، ويلقى كل منهما اللوم على صاحبه :

« وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد . قال لا تختصموا لى وقد قدمت اليكم بالوعيد . ما يبدل القول لى وما انا بظلام للبيد » . (ق : ٢٧ - ٢٩)

وحتى اذا ما انتهى الامر يوم القيامة وانصرف كل لىنال جزاءه ، فان ذلك القرين الشيطانى سوف يظل يلقى اللوم على صاحبه من بنى الانسان ويتهمه بالضعف والاستجابة لاغرائه ثم يتبرا من فعله :

« وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا انفسكم ، ما انا بمصرخكم وما انا بمصرخى ، انى كفرت بما اشتركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب اليم » . (ابراهيم : ٢٢)

ومن الانسان من يستطيع التغلب على وساوس قرينه فينجو بنفسه من عذاب يوم القيامة ، بينما يهلك ذلك القرين فى العذاب المهين :

« فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول انك لمن المصدقين . اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدينون .

قال هل انا مطلقون . فاطلع فراه فى سواء الجحيم . قال تالله ان كدت لتردين . ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين » . (الصافات : ٥٠ - ٥٧)

من اجل ذلك كان جهاد النفس ومحاولة التغلب على وساوس القرين واغراءاته المستمرة من اشق انواع الجهاد . وقد عرف لذلك باسم الجهاد الاكبر .

وانا لنجد فى حقيقة القرين هذه التفسير المقبول لظاهرة تحضير الأرواح .

ولا تكون الروح التى يحس بها شهود الجلسة - وهى تحكى بالكلام أو الكتابة أو غيره تاريخا من الماضى ، أو تبدى رأيا فى الحاضر ، أو استطلاعا للمستقبل - لا يكون ذلك كله سوى قرين الجن لذلك الميت الذى اقترن اسمه بتلك التجربة .

ولقد كانت الجن تحاول استراق السمع ، ومعرفة ما يدور فى السماوات العلى ثم تلقى بما يترأى لها من تلك المعرفة - زيادة اوتقصانا ، صدقا كله أو خالطه الكذب - الى اقرانهم من بنى الانسان الذين تحدثوا

عندئذ في الفيبيات ، وما كان ينتظر العالم من أحداث ، فصدقوا قليلا
وكتبوا كثيرا .

« هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفكاريهم . يلقون
السمع وأكثرهم كاذبون » . (الشعراء : ٢٢١ - ٢٣٢)

لكن الجن بدأت تعاني المتاعب في محاولاتها استراق السمع منذ
بدا نزول القرآن . وفي هذا قالت الجن :

« وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا
كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهبا رصدا . وأنا
لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » .
(الجن : ٨ - ١٠)

« لا يسمعون الى إلا الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحورا ولهم
عذاب وأصاب . إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » .
(الصافات : ٨ - ١٠)

وللجن علوم ومحاولات لغزو الفضاء واستطلاع للمجهول ، تناظر على
الأقل - أن لم تتفوق على محاولات الإنسان في هذا المجال :

« يا معشر الجن والإنس أن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات
والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان » . (الرحمن : ٣٣)

وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد « السلطان » مرادفا للعلم
المعجز الذي استقرت أسسه ، وظهرت حقائقه ، وبأن خطره للناس :

« أم لكم سلطان مبين . فاتوا بكتابكم أن كنتم صادقين » .
(الصافات : ١٥٦ - ١٥٧)

كذلك اعترفت الجن بمعجزها عن الهروب وتخطي قيود المكان
والأبصار :

« وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا » .
(الجن : ١٢)

ومن رحمة الله بالانسان ان سخر الله ارواحا من الملائكة تحفظه من اذى الأرواح الشريرة من الجن وغيره . ولولا ذلك لتسلطت تلك الأرواح الخبيثة على كل البشر ، وعطلت الحياة على الأرض محاولة توجيهها لغير ما خلقه الله :

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الأنعام : ٦١)

« ان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون » . (الانفطار : ١٠ - ١٢)

ومن رحمة الله التي وسعت كل شيء ان أوكل تلك الحفظة بالناس اجمعين سواء كانوا مؤمنين او كافرين :

« ان كل نفس لها عليها حافظ » . (الطارق : ٤)

ولا يزال الانسان في حفظ من تلك الأرواح الشريرة الا ان يشاء الله به شيئا آخر ، وعندئذ يمسه السوء وتصيبه تلك الأرواح بالأذى تماما كما يصيبه الأذى المادي الذي يلقاه من المخلوقات التي يعرفها ويحس مادتها مثل الانسان والحيوان وغيره :

« قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله » .

(الأعراف : ١٨٨)

*

وخلاصة القول في موضوع الجن ان المؤمنين مطالبون - حسبما تبينه الكتب المقدسة - بالإيمان بوجود الجن وقدراته وتأثيره في الانسان .

* * *

الخلاصة

لقد أجمعت الأديان الثلاثة : وهى اليهودية والمسيحية والاسلام على ان الملائكة مخلوقات علوية تستطيع الظهور فى هيئة بشرية متمثلة اشباها من الرجال ، كما يستطيع بعض الصالحين من البشر مشاهدتها فى طبيعتها النورانية .

والملائكة علاقة وطيدة بالانسان فى شتى مراحل حياته ، كما انهم قرناؤه ، رقباء على افعاله له حافظين كراما كاتبين ، يعلمون كل افعاله ومختلف نشاطاته .

وللملائكة علوم ، وعليهم تكاليف ، ولهم مشاعر واحاسيس ، ويملكون ارادة وتدبيراً . والقد كان أبرز افعالهم هو التعامل مع عبيد الله المختارين من الانبياء والصالحين وتعهدهم بالتعليم والهداية والرعاية .



كذلك اتفقت الديانات الثلاث على ان الوحي تعليم الهى خاص ، وانه المصدر الرئيسى الذى تعلم منه الانسان حقيقة الايمان .

وللوحى طرق مختلفة ووسائل متنوعة منها : الرؤيا المنامية ، والتعليم المباشر من الملائكة فى صورتها البشرية ، والتعليم بصوت من الملائكة فى طبيعتها النورانية ، وتعليم الملائكة فى خفاء ، والكلام « من وراء حجاب » وحلول الروح على العبد الصالح فى رسل لسانه ما استقبلته احاسيسه ، ثم النفث فى روع العبد الصالح فيفيض الحق على لسانه بما وعاه وجدانه .

والوحى تجربة شخصية ارتبطت اولاً واخيراً بهن تعرض لها ، وهى قد فرضت فرضاً من السماء ولم تات قط بمشيئة انسان ، ولذلك اقتضت رحمة الله بخلقه ان يختار الذين اختصهم بوحيه - من عبيده الانبياء والمرسلين - من صفوة خلقه الذين اشتهروا بين الناس برجاحة العقل وحسن الخلق وطيب المنظر والمخبر والسمو عن كل صغاره . ولما كان الشئ الذى يهب البشرية هو نتاج الوحي ، فمن ثم وجب ان يوضع هذا النتاج موضع التدبر والتمحيص ، حتى يميز الناس الخبيث

من الطيب ، فيقبلون المنهج الذى يشكل حياتهم الدنيوية ويحدد مصيرهم الأبدى عن قناعة وإيمان .

✱

ولقد درجنا خلال هذا الكتاب على التقديم بشيء يسير من القول يعين على فهم نصوص الكتب المقدسة التى نعرض لها . والشئ المؤكد الآن هو أن ما عرضناه فى فصلى الملائكة والوحى يعتبر تقدما يعيننا على استيعاب آية واحدة من القرآن الكريم نزلت تعليما الهيا من الله - سبحانه - الى رسوله محمد خاتم النبيين ، آية تقول :

((قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم ، ان اتبع الا ما يوحى الى ، وما انا الا نذير مبين)) (١) .

وما علينا بعد ذلك الا ان نقول وكننا ايمان ويقين : صدق الله العظيم .

✱

هذا - ولما كانت هناك مخلوقات خفية تستطيع التداخل فى حياة الانسان ، كان لزاما أن نذكر شيئا عن الجن ، تلك المخلوقات التى اجتمعت الديانات الثلاث على حقيقة وجودها وبيئت الكثير من خصائصها وامكاناتها التى تتعدى - فى مجالات المقارنة - قدرات الانسان .

ويكفى ان نذكر للذين تستهويهم الخوارق والالاعيب ما يقوله الانجيل على لسان المسيح :

((رابت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء - لوقا : ١٠ : ١٨)) .

وهو ما ذكرته الرسالة الثانية الى اهل كورنثوس :

((ان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور - ١١ : ١٤)) .

✱

هذا - وبعد ان عرضنا ركيزتين من ركائز الايمان هما : الملائكة والوحى وراينا كيف تألفت فيهما اليهودية والمسيحية والاسلام ، فان ما ينتظرنا هو عرض الركيزة الثالثة التى تجمع هذا وذلك ثم تزيد عليه بما يحقق امن الانسان وسعادته فى الدنيا والآخرة - الا وهى النبوة والأنبياء - والذى ارجو ان تكون هى الجزء الثانى من هذه السلسلة .

فائمة المراجع الرئيسية

- ١ - صحيح البخارى .
- ٢ - تفسير ابن كثير .
- ٣ - لسان العرب - طبعة بيروت - ١٩٥٦ .
- ٤ - الطبقات الكبرى - طبعة بيروت - ١٩٦٠ .
- ٥ - تاج العروس - طبعة بيروت - ١٩٦٦ .
- ٦ - الوحى الى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكى - مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة .



- 7- ENCYCLOPEDIA AMERICANA, 1959...
- 8- ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960
- 9- C. H. Dodd : THE MEANING OF PAUL FOR TODAY, fontana books, London, 1964.



الفهرس

صفحة

٣	هذه السلسلة
٥	تقديم
١٥	الفصل الأول : الملائكة							
١٨	الملائكة في أسفار العهد القديم
٢١	الملائكة في العهد الجديد
٢٣	الملائكة في القرآن الكريم
٣٣	الفصل الثاني : الوحي							
٣٦	الوحي في العهد القديم
٤٦	الوحي في العهد الجديد
٦٢	الوحي في القرآن الكريم
٧٩	الفصل الثالث : الجن							
٨١	الجن في العهد القديم
٨٤	الجن في العهد الجديد
٨٥	الجن في القرآن الكريم
٩١	الخلاصة							
*								
٩٣	قائمة المراجع الرئيسية

كتب للمؤلف

- * العلوم النظرية الحديثة في التراث الإسلامى .
٢٣٢ صفحة - مكتبة وهبة - ١٤ شارع الجمهورية - القاهرة .
- * المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .
٣٢٨ صفحة - مكتبة وهبه .

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٠٧٧ / ١٩٧٩
الترقيم الدولي ٢ - ٣٦٢ - ٢٥٦

مطبعة استقلال الكويت
٨ شارع بيت الوفاء - ت ٤٧٤٨٦

هذا الكتاب

* في هذا العصر .. تأكدت أزمة الحضارة الغربية نتيجة لطغيان المادية وتمرد الانسان على الله . وهي الآن تنحدر بعد ان افسدت الانسان ومسخته .. وفي هذا التفاعل المضطرب يجار المضلحون بالدعوة الى تجديد الايمان كعلاج وحيد لمشكلة الانسان .

* لقد عرفت البشرية الايمان اساسا عن طريق الانبياء والمرسلين وهؤلاء تلقوه وحيا من الله بطرق شتى كانت للملائكة فيه البعد الطولى . من اجل ذلك نستفتح بهذا الكتاب الذى يحدثنا عن ركيزتين للايمان هما « الملائكة » و « الوحي » بالاضافة الى حديث عن « الجن » لعلاقتها بالانسان ..

* وفي دراستنا لهذه الموضوعات فى اليهودية والمسيحية والاسلام سوف نرى فى اى النقاط تتفق تماما وفى ايهما يوجد ائتلاف أو اختلاف . ومهما يكن من أمر فلسوف نرى فى النهاية ان دين الله واحد .

* وهنا نقول ما يقوله الدكتور نظمي لوقا فى مقدمة كتابه « محمد : الرسالة والرسول » : « من يفلق عينيه دون النور ، يضر نفسه ولا يضر النور . ومن يفلق عقله وضميره دون الحق ، يضر عقله وضميره ولا يضر الحق » ..